الـروضـة الـغنـاء

شرح وصية الشيخ الحسناء

للعلامة حيمد بن انجبنان بن متالي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على سيد المرسلين الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فلما كانت منظومة الشيخ الوالد محمذ فال بن متالي وصية حاوية من أمر الدين مالا غنى عنه لمن بدينه يبالي غير أنا لم نجد لها شرحا يبين معناها ويفتح ما هناك من الأقفال ألجأني ذلك إليه منشدا بلسان الحال

وكنـــت كـــذي داء تمنـــى لدائـــه طبيبـــا فلمـــا لـــم يجـــده تطببـــا

مع أني كنت قديما مهتما بتوضيح هذه الوصية وتصحيحها بالفحص عن مآخذها من كلام القوم رضي الله عنهم ولم أر أجمع في ذلك من خاتمة التصوف وشرحها لمحمد سعيد رحمه الله ونفعنا به، ولذلك أكثرت من نقل كلامه هنا، ولذلك ترى أكثر ما لم يعز في هذا الشرح منه فكان ذلك كالعزو له ومن أجل ما حملني أيضا على الاهتمام بهذه الوصية وشرحها ما حدثنا به الوالد انجبنان رحمه الله أن الشيخ محمذ فال بن متالي رضي الله عنه لما نظم هذه الوصية وكتبها في ورقتين صغيرتين سلط الله عليها الريح فطارت بها إلى حيث لم يدركها أحد، ثم بعد ذلك بزمان طويل نحو العام وجدت في بلد بعيد من الذي أصابتها الريح فيه ولم تتغير بطول الزمن ومرور الرياح والأمطار عليها فدلهم ذلك على أنها مقبولة عند الله تعالى وأنها مما ينبغي الاعتناء به والله أعلم.

وقد سميت هذا الشرح **بالروضة الغناء في شرح وصية الشيخ الحسناء** وأسأل الله أن ينفع به من نظر إليه بعين الرضي والإنصاف إن لم يكن من أهل التعنت والإعتساف، ولكن لا تحمله شدة ذلك على عدم التأمل وإصلاح ما هنالك من الغلط والخلل كما قيل:

فعـين الرضـا عـن كـل عيـب كليلـة كمـا أن عـين السـخط تبـدي المسـاويا

فإن الإنسان وأحرى أمثالنا مظنة الخطإ والزلل ولكن لا يصلح إلا بعد تحقق الخطإ وإياه والعجل كما قيل:

وكـم مـن عائـب قـولا صـحيحا وآفتـه مـن الفهـم السـقيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

بسم إلهنا الذي لم يجعل منار أي علامة ومنه قول امرئ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره، إلخ **سبل** جمع سبيل الطريق **الخير طول الأمل**(1) وهو رجاء ما تحبه النفوس كطول عمر وزيادة غنى وإنما ذم الأمل لأنه يتولد منه ترك التوبة والرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة وقسوة القلب قال تعالى: {فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم } وإنما المذموم من الأمل هو الاسترسال فيه وعدم الاستعداد للآخرة فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته **حمدا لمن يرشد للمتاب** أي يهدي إلى التوبة والرشيد في أسمائه تعالى الهادي إلى سواء الطريق والمتاب مصدر تاب توبا ومتابا رجع عن المعصية، **ويمدح التوب من التواب(2)** قال تعالى {وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون} وقال {إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين} فإن تبت فأنت من المحبوبين وإن لم تتب فأنت من الظالمين، وفي حديث الصحيحين واللفظ للبخاري (إن الله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فقام يطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله فقال ارجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده)، **المجزل** أي المكثر **العطية الوهاب فضلا** منه تعالى **لكل ناسك أواب(3)** أي رجاع إلى الله تعالى بطاعته ومنه قوله تعالى {كل له أواب} أي رجاع بالتسبيح، قال تعالى {ومن يتق الله يجعل له مخرجا

ويرزقه من حيث لا يحتسب} وفي الحديث الرباني (إني إذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت وبركتي ليس لها نهاية وإذا عصيت لعنت ولعنتي تلحق السابع من الولد). **القابض الباسط** من أسماء الله تعالى القابض الباسط وهما من صفات الأفعال والقابض معناه المضيق على من أراد والباسط الموسع الرزق على من أراد. اهـ قاله شارح الشمائل ويعلق بقوله الباسط قوله **كل مغلق من المغيبات عن كل تقي(4)** قال تعالى {واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم} وقال ﷺ (من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)، وقال بعض المشايخ إذا اعتقدت النفس ترك الآثام جالت في عالم الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكم من غير أن يؤدي إليها عالم علما، وسمع أحمد بن حنبل مقالة هذا العارف فقال صدق وقرأ الحديث المتقدم من عمل بما علم. إلخ. **وخلق** تعالى **الخيرات والأشرار ثم** خلق **لكل منهما** أي من الخيرات والأشرار **زوارا(5)** جمع زائر أي عمالا بأن يسر الخير لأهله ويسر الشر لأهله، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان في جنازة فأخذ عودا ينكت به الأرض فقال (وما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار والجنة فقالوا يا رسول الله ﷺ أفلا نتكل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ثم قرأ {فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسري}الآية. **ثم صلاة** وهي من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين طلب ذلك **تقتضي** أي تطلب **نيل الوطر** أي قضاء الحاجة **ماحية لكل ذنب مستطر(6)** أي مكتوب على العبد وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا) رواه مسلم، وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات) أخرجه الترمذي **مع سلام** وهو زيادة الأمن وطيب تحية وإعظام **طيب زاك يطيب مآلنا به** أي مرجعنا فاعل يطيب ويتعلق بقوله ثم صلاة إلخ. قوله **على الهادي الحبيب**(7) من أسمائه ﷺ الهادي ومعناه المرشد لعباد الله بدعائه إليه ومن أسمائه أيضا حبيب الله وفي حديث البيهقي (اتخذ الله إبراهيم خليلا وموسى

نجيا واتخذني حبيبا) **مفتاح قفل كل خير ينتقى** أي يختار ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المفتاح والفاتح ومعناه الفاتح لكل خير وشريعة أو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجا واسمه مفتاح بمعنى فاتح مع ما فيه من المبالغة لتعدد فتحه وعظمه، ومن أسمائه ﷺ مفتاح الرحمة أي في الدنيا والآخرة ظاهرا وباطنا ولا يرحم أحد في الآخرة إلا على يديه، ومن أسمائه مفتاح الجنة يحتمل أنه لا يدخل الجنة إلا من آمن به فكان هو مفتاح لدخولها، ويحتمل أن يكون المراد به مفتاح الجنة حسا فإنه لا يفتح لأحد قبله انظر شرح دلائل الخيرات. **وسد** أي غلق **باب كل شر يتقى(8)** أي فيحذر منه ومن أسمائه ﷺ كاشف الكرب أي مذهبها ومفرجها ومنها أيضا صاحب الفرج وهو الذي يفرج الله به كرب الدنيا والآخرة **و**الصلاة والسلام أيضا على **آله** ﷺ **ينبوع كل فضل** الينبوع لغة العين والجدول الكثير الماء من قولهم نبع الماء نبعا ونبوعا خرج من العين انظر القاموس ومن ذلك الينيبع في شعر أمحمد بن الطلبه لاتويدرم بالحسانية حدثني الشيخ رحمه الله بذلك والله أعلم. **شمس الهدى** ومنه الحديث (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) **ورهص كل عدل(9)** أي أصله وآله ﷺ هم أقاربه المؤمنون من بني هاشم قيل والمطلب **و** الصلاة والسلام أيضا على **صحبه** ﷺ وهم من اجتمع معه ﷺ مؤمنا ولو لم يره ولا روى عنه، وقيل غير ذلك انظر المطولات إن أردت الكلام على الصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه فهو مبسوط هناك فنحن لا نطيل به هنا مخافة الملل والسآمة بذلك، ثم وصف قوله وصحبه بقوله **الفائز** من فاز فلانا بكذا ظفر به **بالتسويد** مصدر سوده إذا جعله سيدا ومنه قوله فما سودتني عامر عن وراثة. إلخ **القانتين** أي المطيعين ومنه قوله {وكل له قانتون} أي مطيعون الجوهري، هذا هو الأصل ومنه قوله تعالى {والقانتين والقانتات} ثم سمى طول القيام في القيام قنوتا وفي الحديث (أفضل الصلاة طول القنوت) **الركع** جمع راكع والركوع لغة الانحناء يقال ركع الشيخ إذا انحنى من الكبر قال لبيد:

ألـــيس ورائـــي إن تراخـــت منيتـــي لـــزوم وعصـــى تحنـــي عليهـــا الأصـــابع
أخبـــر أخبـــار القـــرون التـــي مضـــت أدب كـــــأني كلمـــــا قمـــــت راكـــــع

السجود(10) جمع ساجد وأصل السجود لغة الخضوع وأنشد في الصحاح ترى الأكم فيها سجدا للحوافر، قال ومنه سجود الصلاة وسجد الرجل طأطأ رأسه قال حميد بن ثور يصف نساء :

فلمـــا لـــوين علـــى معصـــم وكـــف خضـــيب وأموارهـــا
فضـــول أزمتهـــا أســـجدت ســـجود النصـــارى لأحبارهـــا

وأنشد أعرابي في بني أسد للبيد وقلنا له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير طأطأ رأسه لتركبه، **العاكفين** يقال عكف على كذا عكوفا إذا أقبل عليه مواظبا ومنه قوله تعالى {يعكفون على أصنام لهم} ويقال أيضا عكف كذا أي حبسه ومنه قوله تعالى: {والهدي معكوف} **على الاستغفار في كل ساعة وبالأسحار**(11) من عطف الخاص على العام، قال المستغفرون بالأسحار لأنه وقت إجابة الدعاء ولأنه وقت الخلوة قال لقمان لابنه لا يكن الديك أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم، وقال كان إبن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة فإذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعوا حتى نصلى الصبح، **البائعي نفوسهم بالجنة لله والماحي مقيم السنة**(12) قال تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة}، والماحي من أسماء محمد ﷺ ومعناه الذي يمحو الله به الكفر ومقيم السنة من أسمائه ﷺ أيضا وهذا الاسم سمي به في التوراة والزبور والمراد بالسنة سنة من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإقامتها تقويمها وتعديلها حتى تعود إلى ما كانت عليه، انظر مطالب المسرات **و** الصلاة والسلام أيضا على **التابعين** له ﷺ وآله وصحبه رضي الله عنهم، **ذوي الإحسان** في العمل **إلى أن يفقد لواهب الإلى**(13) أي معطي النعم وهو الله تبارك وتعالى، وروي مسلم عن

عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول (لا يذهب الليل والنهار حتى يعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله إن كنت لأرى حين أنزل {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} قال إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفي كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين ءابائهم). والله الموفق للصواب.

هذا خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي الأمر هذا أو هذا هكذا **وإن الدار ذي** التي هي **دار** الدنيا بضم الدال وحكي ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو لسبقها الآخرة، وقيل لدنوها من الزوال وهي ما على وجه الأرض من الهواء والجو وقيل كل المخلوقات من الجواهر والأعراض وتطلق على جزء من ذلك مجازا والدينا أيضا اسم لهذه الحياة الدنيا والمراد بالدنيا هنا المال وتوابعه التي هي من جملتها كالجاه والكبر ونحوهما، قال النووي سمي المال مالا لأنه يميل القلوب. اهـ النووي هذه مناسبة في المعنى وإلا فليس مشتقا من ذلك لأن عين المال واوى لا من الميل بالياء ومن شروط الاشتقاق الاتفاق في الحروف اهـ. من شرح الخاتمة، وقال ابن حجر على الأربعين واعلم أن العلماء فسروا الدنيا بما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الأرض واختلفوا في المزهود فيه منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمنكح والمسكن وقيل الحياة والوجه كما مر أنه كل لذة وشهوة ملائمة للنفس مما ذكر وغيره حتى الكلام بين مستمعين له ما لم يقصد به وجه الله تعالى. اهـ كلام ابن حجر. **دار التوى** أي الهلاك يقال توى كرضى توى أي هلك هلاكا كما قال بعضهم: تركت الدنيا لسرعة فنائها وقلة غنائها وخسة شركائها، وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة في دار المتالف و المعاطب كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومداب العقارب ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

إذا امـــتحن الـــدنيا لبيـــب تكشـــفت ... لـــه عـــن عـــدو فـــي ثيـــاب صـــديق
ألا كـــل حـــي هالـــك وابـــن هالـــك ... وذو نســـب فـــي الهـــالكين عريـــق

قال ابن عباد: ولا شيء أبين في أحوال الدنيا وغرورها وشرورها من قول الله تعالى في صفتها {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السابقة عند العقلاء منهم وطلابها مجانين عند الحكماء الماضين وما قام داع في أمة إلا وقد حذر متابعة الدنيا وجمعها وحبها اهـ. وفي تنبيه المغترين ومن أخلاقهم أي السلف الصالح رضي الله عنهم هوان الدنيا عليهم وشدة رفضهم لها عملا بقول رسول الله ﷺ إن للدنيا بنين وللأخرى بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، وقال فيه أيضا: ومن أخلاقهم رضي الله عنهم تقديم أعمال الآخرة على أعمال الدنيا فيقدم ورده بعد الصبح على سائر مهماته، كما يقدم التهجد في الليلة الباردة على نومه تحت اللحاف وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهم رضي الله عنهم، فمن أصبح وهمه الدنيا فهو خارج عن طريق القوم وكان يوسف بن عبيد رحمه الله تعالى يقول: من لم يكن عنده تسبيحة أو تهليلة فهو ممن آثر دنياه على آخرته، وفي الحديث: (لو كانت الدنيا من الذهب والآخرة من الخزف لاختارها العاقل فكيف والأمر بالعكس)، قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للعقل ألف اسم ولكل اسم ألف اسم وأول كل اسم منها ترك الدنيا وقال الحسين رضي الله عنه كيف يسمى عاقلا وهو يمسي ويصبح في الدنيا ومباهات أهلها في المطاعم والمشارب والمراكب والملابس وأولئك هم الغافلون، وقال ابن حجر الهيثمي قال أئمتنا لو وصى لأعقل الناس صرف للزهاد أي لأنه لا أعقل منهم حيث آثروا الباقي على الفاني، وقال أبو علي رضي الله عنه أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت وأف من حسراتها إذا أدبرت، والعاقل من لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلا، وإذا أدبر كان حسرة، وقد قيل في معناه:

ومـــن يحمـــد الـــدنيا لشـــيء يســـره فســـوف لعمـــري عـــن قريـــب يلومهـــا
إذا أدبـــرت كانـــت علـــى المـــرء حســـرة وإن أقبلـــت كانـــت كثيـــرا همومهـــا

وقال الآخر:

إن الـــدنيا الدنيـــة لـــيس فيهـــا لأربـــاب البصـــائر مـــن صـــواب
فخيـــر طعامهـــا لـــو كنـــت تـــدري علـــى خبـــث يغيـــب فـــي التـــراب
وخيـــر لباســـها نفثـــات دود وخيـــر شـــرابها قـــيء الـــذباب
وأشـــهى مـــا ينـــال المـــرء منهـــا مبـــال فـــي مبـــال مســـتطاب
وعـــن قـــرب يكـــون الكـــل تربـــا بـــلا شـــك يكـــون ولا ارتيـــاب

وهي أيضا دار **الجهد** أي المشقة يقال جهد كمنع إذا أجد وجهد عيشه كفرح نكد واشتد، وفي بعض الحكايات عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق، فقيل له وما ذلك قال الراحة في الدنيا وفي معناه أنشدنا:

أتطلـــب الراحـــة فـــي دار العنـــا خـــاب مـــن يطلـــب شـــيئا لا يكـــون

وقال أبو تراب رضي الله عنه يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة أشياء وليس هي لكم تحبون النفس وهي للموت وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال وهو للورثة وتطلبون اثنتين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما في الجنة. فالواجب على العبد أن لا يوطن على الراحة نفسا ولا يركن إلى ما يقتضي منها فرحا وأنسا، ويعمل قول النبي ﷺ فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) فالدنيا دار شأنها الذل والهوان فكيف تصفو لك يا إنسان وهي مسرتها مقرونة بالغم وحلاوتها معجونة بالسم قال الشاعر:

أتطلـــب أن تعـــيش بغيـــر هـــم ودار الهـــم أنـــت بهـــا مقـــيم

وقال الآخر:

طبعـت علـى كـدر وأنـت تريـدها صـــفوا مـــن الأقـــذار والأكـــدار

ومكلـــف الأيـــام ضـــد طباعهـــا متطلـــب فـــي المـــاء جـــذوة نـــار

وفي الحكم العطائية: لا تستغرب وقوع الأكدار مادمت في هذه الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها، وفيها أيضا: إنما جعلها محلا للأغيار ووجود الأكدار تزهيدا فيها فبتوطين العبد نفسه على المحن في دنياه يهون عليه كلما يقع ويجد السلوان عن فقد ما يهواه كما قيل:

يمثـــل ذو اللـــب فـــي لبـــه مصـــــائبه قبـــــل أن تنـــــزلا
وذو الجهـــل يـــأمن أيامـــه فـــإن نزلـــت بغتـــة أعـــولا

فليتلق المريد كلما يرد عليه من محن لدنيا بالصبر والرضا والاستسلام عند جريان القضاء فعن قريب إن شاء الله تعالى ينجلي الأمر ويستوجب من الله جزيل الأجر، والله ولي التوفيق. قال أحمد بن الحواري رضي الله عنه قال ابو سليمان الداراني جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا، ذكره ابن عباد على الحكم، وكان عيسى عليه السلام من رؤوس الزهاد وكان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر قوت غد وكل مكان أدركه فيه المساء نام فيه، وقيل له مرة يا روح الله ألا نتخذ لك حمارا تركبه فقال أنا أكرم على الله من أن يشغلني بخدمة حمار، وكان عيسى يقول للحواريين بحق أقول لكم إن أكل نخالة الشعير مخلوطة بالرماد والنوم على المزابل مع الكلاب ولبس المسوح الخشنة لكثير على من يموت ذكره. في تنبيه المغترين، وقيل لعيسى ألا تتزوج فقال إنما التكاثر من كان في دار البقاء، ودخل أقوام منزل عابد ولم يجدوا فيه شيئا يقعدون عليه فقال لو كانت الدنيا دار مقام لاتخذنا أثاثا. ذكره في النخبة. **و** هي أيضا دار **الغرور** وهو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه فالدنيا أمرها يسير وقدرها حقير كأنها سحائب صيف أو زائر طيف أشبه الشيء بالسراب طالبها لم يزل في عذاب قال الشاعر:

ألا إنمـــــا الـــــدنيا كـــــأحلام نـــــائم فمـــــا خيـــــر عـــــيش لا يكـــــون بـــــدائم
تأمـــــل إذا مـــــا نلـــــت بـــــالأمس لـــــذة فأفنيتهـــــا هـــــل أنـــــت إلا كحـــــالم

وقال آخر:

تـــــنح عـــــن الـــــدنيا فـــــلا تخطبنهـــــا ولا تخطـــــبن قتالـــــة مـــــن تنـــــاكح
فلـــــيس يفـــــي مرجوهـــــا بمخوفهـــــا ومكروهـــــا إذا تأملـــــت راجـــــح
لقـــد قـــال فيهـــا الواصـــفون فـــأكثروا وعنـــدي لهـــا وصـــف لعمـــري صـــالح
ســـلاف قصـــاراها زعـــاق ومركـــب شـــهي إذا اســـتلذذته فهـــو جـــامح
وشـــخص جميـــل يـــؤنس النـــاس حســـنه ولكـــن لـــه أســـرار ســـوء قبـــائح

قال علي رضي الله عنه الدنيا كالحية لين مسها قاتل سمها فكن حذرا فإن من سكن منها إلى إيناس أزاله عنها إيحاش اهـ. وقيل: الدنيا تقبل إقبال الطالب وتدبر إدبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول وخيرها يسير وعمرها قصير ولذتها فانية وتياعاتها باقية، وقال عليه السلام (الدنيا يومان يوم فرح ويوم هم وكلاهما زائل فدعوا ما يزول واتعبوا أنفسكم فيما لا يزول)، وقال عليه الصلاة والسلام (تعملون في الدنيا وأنتم ترزقون بغير عمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل). ولما بلغ من الدنيا أفضل ما سعت إليه نفسه نبذها وقال هذا سرور لولا أنه غرور وملك لولا أنه هلك ومحمود لولا أنه مفقود وغني لولا أنه مني وارتفاع لولا أنه اتضاع، قاله في النخبة العليا **لا دار الثوي**(14) أي الإقامة كما قال الشعر:

لعمـــــرك مـــــا الـــــدنيا بـــــدار إقامـــــة ولكنهـــــا دار انتقـــــال لمـــــن عقـــــل
إذا أضـــــحكت أبكـــــت وإن هـــــي أقبلـــــت تولـــــت وإن أعطـــــت فأيامهـــــا دول

وقال الآخر:

أتبنـــــي بنـــــاء الخالـــــدين وإنمـــــا مقامـــــك فيهـــــا لـــــو علمـــــت قليـــــل
لقـــد كـــان فـــي ظـــل الإراك كفايـــة لمـــن كـــل يـــوم يعتريـــه رحيـــل

ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

أيهـــــا المـــــرء إن دنيـــــاك بحـــــر طـــــامح موجـــــه فـــــلا تأمننهـــــا
وســـــبيل النجـــــاة فيـــــه مبـــــين وهـــــو أخـــــذ الكفـــــاف والقـــــوت منهـــــا

قال جامعه عفا الله عنه وقد أخذت طرفا من هذا المعنى وزدت حيث قلت:

تنبـــه مـــن منامـــك فالـــدنيا كســـيل فـــي تقلبـــه جـــراف
فـــدعها تســـترح وتـــرح وبـــادر إلـــى تقـــوى المهـــيمن فهـــو كـــافي
وإلا فاســـع بالإجمـــال وانظـــر لســـان الشـــرع فـــي طلـــب الكفـــاف
وإن نلـــت الكفـــاف فعـــف واقنـــع بـــه كـــل القناعـــة والعفـــاف

قال في الحكم العطائية من تمام النعمة عليك أن يعطيك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك وفي الحديث (قد أفلح من هدي إلى الإسلام ورزق الكفاف وقنع به)، ومعناه أن من اتصف بتلك الصفات حصل على مطلوبه وظفر بمرغوبه في الدنيا والآخرة، والكفاف في الدنيا أفضل من الغنى والفقر لحديث (اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا) ففي هذا الحديث دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة في الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفر نعيم الآخرة وإيثارا لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك، ومعلوم أنه ﷺ لا يسأل إلا أفضل الأحوال وأسنى المقامات والأعمال ولحديث (يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف) ولأن الكفاف أيضا حالة متوسطة بين الغنى والفقر، وفي الحديث (خير الأمور أوساطها) وصاحب الكفاف معدود من الفقراء لأنه لا يترفه في طيبات الدنيا، بل يجاهد نفسه في الصبر عن القدر الزائد على الكفاف فلم يفته من حال الفقراء إلا السلامة من قهر الحاجة وذل المسألة، قال الشعراني الكفاف هو الذي لا يفضل عن الغداء والعشاء منه شيء، وقال النووي هو الكفاية لا زيد ولا نقص وقال أيضا ما يسد الرمق وقال القرطبي هو ما يكف عن الحاجات، ولا يلحق بأهل الترفهات وفي بعض الأخبار أن علي كرم الله وجهه قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما زاد فهو كنز، وقال أبو ذر وجماعة ما فضل من مال الرجل عن حاجة نفسه فهو كنز ذكره في شرح الخاتمة. **شمر** يقال شمر فلان إذا جد واحتال وشمر للأمر إذا تحيل وشمر الثوب تشميرا إذا رفعه وفي الأمر خف انظر القاموس

والمعنى أنه إذا كانت الدنيا بهذه المنزلة من الشر من كونها دار هلاك ومشقة وغرور فحكمك أيها المسكين أن تشمر لطاعة ربك تعالى ولا تغتر بإمهاله تعالى لك، فاعلم أن ذلك ليس بإمهال فإن الله تعالى سائلك عن كل شيء ومجازيك عليه إلا أن يرحم الله قال الشاعر:

قـد غرهـا إمهـال خالقهـا لهـا لا تحسـبن إمهالـه إمهـالا

وقال آخر:

فلـو كنـا إذا متنـا تركنـا لكـان المـوت راحـة كـل حـي
ولكنـا إذا متنـا بعثنـا فنسـأل كلنـا عـن كـل شـي

وفي الحكم العطائية الحزن على فوات الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغترار، وفيها أيضا إحالتك الأعمال إلى وجود الفراغ من رعونات النفوس، وفيها أيضا كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه، قال الشاعر:

لـيس فـي كـل سـاعة وأوان تـتـأتى صـنائع الإحسـان
فـإذا أمكنـت فبـادر إليهـا حـذرا مـن تعـذر الإمكـان

وقال الآخر:

إذا هبـت رياحـك فاغتنمهـا فـإن لكـل عاصـفة سـكون

وقال صاحب المنفرجة:

وإذا انفتحـت أبـواب الهـدى فأعجـل لخزانتهـا ولـج

وهب من منامك الطويل أي انتبه من غفلتك الطويلة في الدنيا وتيقظ لأمر الآخرة قال علي رضي الله عنه الدنيا كمركب يسير بأهله وهم نيام وفي الحديث (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) وقال عليه السلام لأبي ذر (نبه قلبك وجاف عن النوم جنبك واتق الله ربك) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما رأيت مثل الجنة نام

طالبها ولا مثل النار نام هاربها)، وفي الحديث (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة) ولقد أحسن الشاعر في قوله:

يـــا طويـــل الرقـــاد والغفـــلات كثـــرة النـــوم تـــورث الحســـرات
إن فـــي القبـــر لـــو نظـــرت إليـــه لرقـــادا يطـــول بعـــد الممـــات
ومهـــادا ممهـــدا لـــك فيـــه بـــذنوب عملـــت أو حســـنات
أأمنـــت البيـــات مـــن ملـــك المـــو ـــت وكـــم نـــال آمنـــا ببيـــات

وقال آخر:

منـــع القـــرآن بوعـــده ووعيـــده مقـــل العيـــون بليلهـــا أن تهجعـــا
فهمـــوا عـــن الـــرب الجليـــل كلامـــه فرقـــى بهـــم عـــن ذاك كيمـــا تخضـــعا

وقال الآخر:

محـــال علـــى عـــين تراقـــب أن تـــرى جمالـــك يـــا مـــن لا نظيـــر لـــه الكـــرى
وحـــق لقلـــب قـــد تعلـــق بـــالهوى مفارقـــة الخـــلان مـــن ســـائر الـــورى

يا أيها المسكين قد حان الرحيل(15) أي قرب فراق الدنيا إلى الآخرة كما قيل وما هو آت في الزمان قريب، وقيل الدنيا ساعة فاجعلها طاعة قال الشاعر:

إذا كنـــت أعلـــم علـــم اليقـــين بـــأن جميـــع عمـــري كســـاعه
فلـــم لا أكـــون ضـــنينا بهـــا وأجعلهـــا فـــي صـــلاح وطاعـــه

وكان بعض الصالحين ينادي على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفي رحمه الله تعالى فقد أمير المدينة صوته فسأل عنه فقيل له قد مات فأنشأ يقول:

مـــا زال يهتـــف بالرحيـــل وذكـــره حتـــى أنـــاخ ببابـــه الجمـــال
فأصـــابه متيقظـــا متشـــمرا ذا أهبـــة لـــم تلهـــه الآمـــال

وقال رجل لعامر بن عبد الله ابن قيس وهو يريد الجمعة قف لي أكلمك فقال لولا أني أبادر لوقفت قال وما تبادر قال خروج روحي، وقيل إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، وقال عليه الصلاة والسلام في بعض خطبه (أيها الناس إن الأيام تطوى والأعمار تفنى والأبدان في الثرى تبلى وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات). **واردد برفق ذا الهوى الجموحا** أي هوى النفس الشرود قال الحسن رضي الله عنه ما الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك وما أحسن قول البصيري : فاردد هواها وحاذر أن توليه ...إلخ. وقال: من لي برد جماح من غوايتها ..إلخ. وفي الحكم العطائية لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك، وقال الشاعر:

يـــا غـــافلا أردى الهـــوى عقلـــه ... مـــا لـــك قـــد ســـدت عليـــك الأمـــور
أتجعـــل العقـــل أســـير الهـــوى ... وإنمـــــا العقـــــل عليـــــه أميـــــر

وقال الآخر:

إذا خاطبتـــك الـــنفس يومـــا بشـــهوة ... وكـــــان عليهـــــا للخـــــلاف طريـــــق
فخـــالف هواهـــا مـــا اســـتطعت فإنمـــا ... هـــــواك عـــــدو والخـــــلاف صـــــديق

وقيل الهوى مطية الفتنة والدنيا دار المحنة فانزل عن الهوى وأعرض عن الدنيا تغتنم. وقال ﷺ (كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذا تخاصمك يوم القيامة ويلعن بعضك بعضا إلا أن يغفر الله ويستر)، ولو لم يرد في خلاف النفس واتهامها فيما تدعي إلا قوله تعالى {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى}، وقوله {أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم}الآية لكان كافيا مع ما ورد في مدح خلاف النفس وذم اتباعها من الآيات الفصيحة والأحاديث الصحيحة والحكايات والأخبار الواردة عن الأولياء والأخيار وعن العلماء والأحبار فما آثر أحد هواه فأفلح وما خالفه إلا نجح، قال:

فآفـــة العقـــل الهـــوى فمـــن عـــلا علـــــى هـــــواه عقلـــــه فقـــــد نجـــــا

وقال الآخر:

الخيـــر فـــي خـــلاف مـــا تهـــواه وإن بـــــدا فيـــــه رضـــــي مـــــولاه

وتب هديت توبة نصوحا (16) قال في القاموس التوبة النصوح الصادقة وأن لا يرجع إلى ما تاب منه وأن لا ينوي الرجوع قال في شرح شهية السماع ومن كلام علي الخواص من استقام في توبته وزهد في الدنيا فقد انطوى فيه سائر المقامات والأحوال الصالحة، والمستقيم في توبته هو الذي لم يكتب عليه صاحب الشمال ذنبا أربعين سنة، وإنما أمرك الشيخ رضي الله عنه بالتوبة لأن التوبة واجبة عليك، وهي الخروج عن الذنب لله تعالى لا لخوف الخلق ولا لطلب الرزق، ثم أشار إلى شروط التوبة فقال: **اقلع إذا كنت ملابس الصدى** لأن من موجبات التوبة الإقلاع عن المعصية في الحال ولا يؤخر التوبة لحظة فإن تأخيرها معصية أخرى تجب التوبة منها، ويحصل في تأخير التوبة ساعة من الذنوب ما لا يحصى قال:

وبـــــادر التوبـــــة قبـــــل الفـــــوت لحـــــــادث أو لحصـــــــول المـــــــوت

إذ لـــيس بعـــد المـــوت مـــن متـــاب ولا ســـــوى الـــــدارين مـــــن مـــــآب

انظر التلخيص المفيد وقوله ملابس الصدى المراد الذنب وفي الحديث (إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد) وفي الحديث أيضا (إن العبد إذا أذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه ...)الحديث. **واستعن الله عليها سرمدا**(17) أي اطلب العون من الله تعالى أبدا على أن يوفقك للتوبة ويقبلها منك ويغفر لك ذنبك، وفي الحكم العطائية ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك، واعلم أنك في الحقيقة مجبور على المعصية وأن الله ما دام يخلق لك المعصية لا تمكنك التوبة النصوح التي ما بعدها ذنب أبدا فإذا انتهى خلق الله فيك المعصية تبت لا محالة قال تعالى {ثم

تاب عليهم ليتوبوا}. **واعزم على فقد الرجوع** إلى ما تبت منه لأن من شروط التوبة أيضا العزم على عدم الرجوع إلى الذنب ومن شروطها أيضا رد المظالم قال في قلائد اللجين والحقوق خمسة: مالية كأكل أموال الناس بغير وجه شرعي وعرضية كاغتيابهم بغير وجه شرعي ودينية وهي أخص من العرضية كتفسيقهم وتبديعهم بغير وجه شرعي ونفسية كالقتل بغير وجه يبيحه وحرمية كالزنا بزوجة أحد أو أمته. فالمالية: يجب ردها إجماعا إن أمكن فإن عدم من له الحق أو نائبه انتقل إلى المساكين وأما العرضية: ففيها خلاف مشهوره وجوب الاستحلال وفي الحقوق النفسية: خلاف قيل يمكن من القود والقصاص كما في منهاج العابدين وظاهر الأحاديث بخلافه وإليه مال ابن رشد وقال ينبغي أن يعتق ويحمل نفسه على الجهاد ونحوه ليكون كفارة وهذا إن لم يكن القتل خطأ ونحوه مما يتعين فيه المال قال في الإحياء فتوبته تسليم الدية ووصولها إلى المستحق إما منه أو من العاقلة وأما الحرمية: فيتعين فيها عدم الاستحلال وأما الدينية: فتختلف فيها الأحوال فإن كان ذكره ذلك يعظم أذاه مهما شرحه كالتكفير والتفسيق في غالب الأحوال فالله أولى بالعذر وإلا وجب الاستحلال وقد ذكر العلماء أن من استغفر لمظلومه دبر كل صلاة خمسا وفى حقه وأظنه في العرض اهـ من قلائد اللجين بتصرف يسير. ومن شروط التوبة أيضا الندم على المعصية وإليه أشار بقوله **واندم** بحيث تقول يا ليتني لم أفعل ولو كان أمس ما فعلت ومعنى الندم حزن وتوجع على أن فعل أو تمنى كونه لم يفعل. ابن عرفة: هو تألم نفس الفاعل لكرهه ما فعل فمن ترك المعصية من غير ندم لا يكون تائبا شرعا وقال أبو الحوراء إن الرجل ليذنب ذنبا فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول إبيلس يا ليتني لم أوقعه فيه، وفي الحكم العطائية معصية أورثت ذلا واحتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا، والندم هو أعظم أركان التوبة، ولذلك قال ﷺ (التوبة الندم) قال في قلائد اللجين وذكر الذنب لا يوجبها بل يندبها على الصحيح إن لم يكن فرحا بذكره، فتجب التوبة من فرحه به ورضاه به والعودة له هل توجب رجوع إثمه قولان والصحيح لا. **وابك على المفعول ذي التقدم** (18) أي ابك على ما تقدم مما فعلت من الذنوب وفي الحديث: (ما من عبد يخرج

من عينيه مثل الذباب أو رأس الذباب من خشية الله عز وجل فتصيب حر وجهه فتمسه النار أبدا) **وتب من** الذنب **المجهول إجمالا ومن سواه** وهو الذنب المعلوم عندك **بالتفصيل** وذلك لأن التوبة كما في التلخيص المفيد تجب من كل ذنب من الكبائر اتفاقا ومن الصغائر على أحد قولين سواء كان الذنب معلوما أو مجهولا، لكن المعلوم تجب منه تفصيلا والمجهول إجمالا، وتندب التوبة من المكروهات والشبهات المباحة كتوبة الزهاد وقيل إن الصغائر لا تحتاج إلى توبة وهو ظاهر كلام المصنف أي ابن أبي زيد القيرواني لغفران الصغائر باجتناب الكبائر ومنهم من جعل هذا في صغيرة منفردة وما تقدم فيما إذا كانت مرتبطة بالكبيرة كمقدمات الزنا .اهـ. **فارس واطمئن** (19) أي اثبت واستقم في توبتك لأن التوبة كما في شرح شهية السماع إذا كان فيها اعوجاج ولو يسيرا انسحب عليها حكم الاعوجاج في كل مقام بعد التوبة فيصير بناء السالك مهلهلا كالذي يبني حائطه من اللبن اليابس من غير طين إذ التوبة أس لكل مقام ترقى إليه العبد حتى يموت فكما أن من لا أرض له لا بناء له كذلك من لا توبة له لا مقام له **وفر من مواضع الذنب** أي اهرب من مظان الذنب **ففي ذلك** أي القرب من مواضع مظان الذنب **أصل كل شر تقتف** (20) أي تتبع الحق إن فعلت ذلك الفرار من مواضع الذنب قال الشاعر:

إن السلامة من سعدى وجارتها ... أن لا تمر بواد حول واديها

قال في شرح خاتمة التصوف: فإن الإنسان قد يتحرك مثلا للطاعة فيتفق أن يقع بصره على شيء فيه له هوى وشهوة فتميل نفسه إليه فيتكدر وقته عليه ويختل عليه في لحظة ما كابد أمره في سنة مثلا، قال:

فالنفس إن أعطيتها هواها ... فاغرة نحو هواها فاها

وإن تكن عزتك يا ذا اللاهي وهو فاعل من اللهو أي غلبتك التوبة يا غافل عن طاعة ربه تعالى **فاعكف على قرآن نصر الله** (21) أي دم على قراءة إذا جاء نصر الله والفتح، والقرآن هنا مصدر بمعنى القراءة يقال قرأه قراءة وقرآنا، ومنه قول الشاعر يقطع الليل تسبيحا وقرآنا ... إلخ. أي قراءة، قال صاحب التلخيص المفيد وغيره من عسرت عليه التوبة فليكثر من قراءة إذا جاء نصر الله ومن عسر عليه قياد نفسه فليكثر من قراءة حسبنا الله ونعم الوكيل، وخاصية اسمه تعالى التواب دفع المظالم وتحقيق التوبة فمن قرأه إثر الضحى ثلاثمائة وستين تحققت توبته ومن قرأه على ظالم تخلص من ظلمه إن شاء الله تعالى. **توسد الموت لدى كل منام** قال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة فإنها وفاة فمن آداب النوم كما في الإحياء أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع من الوفاة واليقظة نوع بعث، قال الله تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها} الآية وقال تعالى: {وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار} فسماه توفيا وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة ثم قال: فيحق للعبد أن يفتش عن قلبه عند نومه أنه على ما ذا ينام وما الغالب عليه أحب الله وحب لقائه أم حب الدنيا، وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب.اهـ كلام الغزالي. **واجعله** أي الموت **نصب العين** أي جهتها قال في القاموس: وهذا نصب عيني بالضم والفتح أو الفتح لحن أي جهتها. اهـ. **في غير المنام** (22) **تكن على حزم** في الطاعة لربك قال الثوري الطاعات تتفرع من ذكر الموت والمعاصي تتفرع من نسيانه وقال اللفاق من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة، ومن نسي ذكر الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة ذكره في قلائد اللجين، وفي الخبر (أن فتى من الأنصار قال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا، قال فأي

من المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكرا للموت وأحسنهم استعدادا له قبل أن ينزل به) قاله في شرح الخاتمة وفي رواية أولئك الأكياس ذهبوا بخير الدنيا والآخرة **وقصر الأمل** وهو رجاء ما تحبه النفوس كطول العمر وزيادة الغنى كما تقدم وقيل الأمل حجاب الأجل وقال أبو الدرداء يا رسول الله أوصني قال (اكتسب طيبا واعمل صالحا واسأل الله رزق يوم فيوم وعد نفسك من الموتى) وحفر الربيع بن خيثم قبرا في داره فكان كلما وجد قسوة في قلبه أضطجع فيه ومكث ما شاء الله ثم يخرج انظر النخبة العليا، وفي البخاري عن الربيع بن خيثم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطا مربعا و خط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبي الذي في الوسط وقال هذا الإنسان وهذا أجله يحيط به أو قال قد أحاط به وهذا الذي هو خارجا أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا. قال القسطلاني عليه وصورته التي ينزل لفظ الحديث عليها هكذا 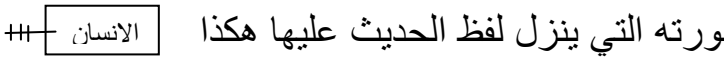

وقيل هكذا 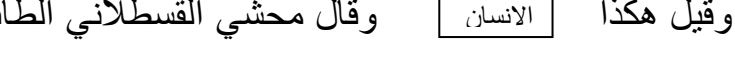

وقيل هكذا 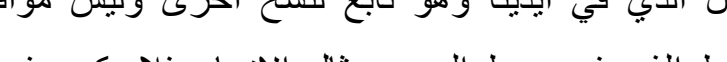

وقال محشي القسطلاني الطابعي هذا الشكل الثاني بالأصل الذي في أيدينا وهو تابع لنسخ أخرى وليس موافقا لكلام الشارح بعد فإن الخط الذي في وسط المربع مثال الإنسان فلا يكون فيه خطوط صغار اهـ. **وكن أخا أسر** أي كن في الدنيا كأنك صاحب أسر وهو المأسور المقيد المسجون في السجن وأعظم أعمال المسجون الصبر وكظم الغيظ كما قاله عبد الله بن المبارك، وفي الحديث (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) وقال القاضي ابن المطيب هذا بالإضافة إلى ما يصير إليه كل منهما في الآخرة وقيل المعنى أنها سجن المؤمن لأنها موضع تعبه في الطاعات وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله ﷺ فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) وفي الحديث (ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب) وقيل للشافعي ما بالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا ضعيف قال لأعلم أني مسافر فإن العصا من آلة السفر قال الشاعر:

حملــت العصــا لا الضــعف أوجــب حملهــا علـــــي ولا أنـــــي تحنيـــــت مـــــن كبـــــر
ولكننـــــي ألزمـــــت نفســـــي حملهـــــا لأعلمهـــــا أنـــــي مقـــــيم علـــــى ســـــفر

وقال الشافعي: من شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة قاله في شرح الخاتمة **و** كن أيضا **أخا** أي صاحب **حزن ووجل** (23) أي خوف لجهل أمرك هل أنت شقي أم سعيد قال ابن عطاء الله في تاج العروس كفى بك جهلا أن تعول على الهم الصغير وتترك الهم الكبير على هم هل تموت مسلما أو كافرا على هم هل أنت شقي أم سعيد على هم النار الموصوفة بالأبدية التي لا انتهاء لها على هم أخذ الكتاب باليمين أو بالشمال هذا هو الهم الذي يعال لا تعل هم لقمة تأكلها أو شربة تشربها أيستخدمك الملك ولا يطعمك أتكون في دار الضيافة وتضيع، وقال أيضا من عال هم الدنيا وترك هم الآخرة كمن جاءه أسد يفترسه ثم قرضه برغوث فاشتغل به عن الأسد فإن من غفل عن الله اشتغل بالحقير ومن لم يغفل عنه لم يشتغل إلا به فأحسن أحوالك أن تفوتك الدنيا لتحصيل الآخرة، يا ظالما فاتته الآخرة لتحصيل الدنيا، فما أقبح الخوف بالجندي وما أقبح اللحن بالنحوي وما أقبح طلب الدنيا لمن يظهر الزهد فيها. **وأخش المفاجأة** أي خف أن يأتيك الموت وأنت في غفلة عنه فإن الموت أعظم المصائب وأعظم منه الغفلة عنه كما قيل:

ولـــــتخش أن ياتيـــــك الممـــــات فـــــي غفلـــــة فإنـــــه الفـــــوات

قال القرطبي اعلم أن الموت ليس له زمن معلوم ولا مرض معلوم فالواجب التأهب له قبل هجومه وذلك بحسن الاستعداد بأخذ الزاد قال أبو العباس بن العماري :

هـــو المـــوت فاحـــذر أن يجيئـــك بغتـــة وأنـــت علـــى ســـوء مـــن الفعـــل عـــاكف
وإيـــاك أن تمضـــي مـــن العمـــر ســـاعة ولا لحظـــــة إلا وقلبـــــك راجـــــف
وبـــادر بأعمـــال يســـرك أن تـــرى إذا نشـــرت يـــوم الحســـاب الصـــحائف

و اخش أيضا **البيات بك** أن يأتيك الموت ليلا فالبيات من قولهم بيتهم العدو إذا أتاهم ليلا قال الشاعر:

أ أمنـــت البيـــات مـــن ملـــك المـــو ـــــت وكـــم نـــال آمنـــا ببيـــات

وقال الآخر:

يـــا رقـــاد الليـــل مســـرورا بأولـــه إن الحـــوادث قـــد يطـــرقن أســـحارا

وقال الآخر:

إن للـــدهر صـــولة فاحـــذرنها لا تبيـــتن قـــد أمنـــت الـــدهورا

قـــد ينـــام الفتـــى صـــحيحا فيـــردى ولقـــد نـــام آمنـــا مســـرورا

فالموت بالمخلوق أمر مرتبك (24) أي مختلط كما قيل وكل امرئ والموت يلتقيان، ولقد أحسن في قوله:

المـــوت داء ولا دواء لـــه إلا التقـــى والعمـــل الصـــالح

قيل لسفيان الثوري ما العمل الصالح قال ما لا تحب أن يحمدك عليه إلا الله قلت وقد نظمت كلامه هذا ببيت فلا باس أن يلحق بالبيت المتقدم

المـــوت داء ولا دواء لـــه إلا التقـــى والعمـــل الصـــالح

وهـــو الـــذي لا تشـــتهي أن يـــرى لـــك ســـوى الله بـــه مـــادح

ولتذكرن بحسب الوقوف عليك بأرض الساهرة والسوق إليها يوم القيامة قال المحاسبي رضي الله عنه فتوهم وقوع صوت المنادي بمسامعك بالخلق على العرض على الله تعالى وتوهم نفسك وذلتك وأنت في زحمة الخلائق أذلاء مصمتون بالذلة والمسكنة فلا تسمع إلا همس أقدامهم وهم مقبلون نحو المنادي ساعون إليه بالذلة والخشوع وقد اجتمع الأمم من الجن والإنس حفاة عراة قد نزع الملك من ملوك الأرض ولزمهم الصغار بعد تجبرهم ثم أقبلت الوحوش منكسة رؤوسها بعد

توحشها من الخليقة ذليلة من هول النشور من غير رمية أصابتها ويتعلق بقول الناظم ولتذكرن إلخ. بالعمل بالنصب على المفعولية قوله **أمر الهائل المخوف**(25) أي أمر الوقوف الهائل المخوف عليك إذ الناس في مواطن القيامة وقوف صموت عكوف والأرض قد بدلت وجموع الخلائق محضرة قد أكلمت وهو شاخصون في حيرة من الأمر ساكتون فبينما هم كذلك إذ انشقت السموات ونزلت ملائكة كل سماء والجن والإنس في الوسط قد أحدقت بهم صفوف الملائكة وتدنو الشمس من الخلق حتى تكون مقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما قال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض على هيأتها يوم القيامة لأحرقت الأرض ولذابت الصخور ونشفت الأنهار، قال شاكر بن مسلم ويبقى الخلق كلهم في صعيد واحد مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم وإنسهم وجنهم والوحش والطير وغير ذلك أما الأنبياء وأصحاب الكرامات من الأولياء والشهداء فإنهم يكونون ممتازين على مقدار مكانتهم من كرامة ربهم سبحانه تبشرهم الملائكة بالفوز والنجاة وتؤنسهم من الفزع وتسكنهم من هول المطلع،اهـ انظر قلائد اللجين. قال في شرح الخاتمة: روي أن في الآخرة مائة ألف هول الواحد منه أعظم من أهوال الدنيا عشر مائة ألف مرة **واذكر صعودك الصراط وانتحب** أي ابك فهو أمر من الانتحاب بمعنى البكاء ومنه قول ابن خلكان لما نعوها لراعي سرحنا انتحبا، وكذلك النحيب أيضا البكاء ومنه قول عنترة ترد النحيب في حيازيم غصة إلخ. **وهو** أي الصراط جسر وهو الذي يعبر عليه **على متن جهنم نصب**(26) أي مد ليمر الناس عليه وله سبع عقبات يسأل الناس عندها فيسأل عند العقبة الأولى عن الصلاة المفروضة فإن وفي بها نجا وإلا فهو في النار وفي الثانية عن صوم رمضان كذلك وفي الثالثة عن الزكاة كذلك وفي الرابعة عن الحج كذلك وفي الخامسة عن حقوق المسلمين كذلك وروي أن جبريل في أوله وميكائل عند الوسط فيسأل الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فيما أبلوه وعن

مالهم من أين اكتسبوه وفيم أنفقوه **أرق من شعر ومن سيف أحد** عليه كلاليب مثل شوك السعدان **ولا يحيد عن مروره أحد**(27) ولا طريق للجنة إلا منه فتمر عليه أقدام الطائعين وتزل أقدام الكفار وبعض أهل الكبائر، قال في كتاب العلوم الفاخرة وفي الحديث (الزالون على الصراط كثيرون وأكثر من يزل عليه النساء) وفيه أيضا (إذا كان يوم القيامة نادي مناد على رؤوس الأولين والآخرين من كان خادما للمسلمين في دار الدنيا فليقم وليمش على الصراط ءامنا غير خائف ادخلوا الجنة أنتم ومن شئتم من المؤمنين فليس عليكم عذاب ولا عقاب). هـ وفي حدائق المجالس صلاة مروية عن النبي ﷺ من فضائلها أنه يكون الصراط له يوم القيامة عرض أربعين فرسخا وطوله مثل خطوة واحدة وهي أربع ركعات كل ليلة بتسليمتين يقرأ في كل ركعة بالفاتحة والإخلاص سبعا فإذا سلم استغفر الله خمس عشرة مرة وصلى على النبي ﷺ عشرا ذكره محمد بن سعيد، **وليس في الموقف هائل أشد منه** أي الصراط وهو آخر الأهوال كما في الجواهر الحسان **أجارنا إلهنا الصمد**(28) من هول الصراط وغيره من جميع الأهوال بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وبجاه كل من له جاه عند الله آمين، آمين، آمين يا رب العالمين. **وأعلم بأن الخير والشر معا** أي حال كونهما جميعا **في العمر فأستفرغه** وعمر أوقاته **فيما نفعا**(29) من الأعمال الصالحة قال الغزالي من أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته بالطاعة ومن أراد أن ترجح كفة حسناته وتثقل موازينه خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمر خطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله أن يغفر له بجوده فهذا طريق الكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ واقتبسه بنور الإيمان وقد قال تعالى لأحب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه {إن لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا} وقال تعالى {واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا} إلى أن قال أي الغزالي رضي الله عنه فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله

تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على الدوام ولذلك قال ﷺ (أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى) وقال الشاذلي الطريق ليست بالرهبانية ولا بأكل الشعير بل بحفظ الأوقات من الضياع فإن طريقهم جهاد لاصلح فيه قال الحكيم الترمذي رأس مالك وقتك وقلبك وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت وقتك بارتكاب ما لا يعنيك فمتى يربح من خسر رأس ماله

وإن يضـــع وقـــت مـــن الأنفـــاس فـــذاك مـــن علامـــة الإفـــلاس

وتخمد الأمراض هذي الباطنة أي أمراض القلب الباطنة وهي عيوب النفس واستيفاء عيوبها لا يمكن وكيف يمكن ذلك والنفس مع جميع أوصافها معيبة ولا تخلو من عيب وقد وصفها الله تعالى بأنها الأمارة بالسوء إلا أنها ربما يصلح العبد من عيوبها شيئا ببعض الأدوية إن شاء الله تعالى ذكره في شرح الخاتمة **بكثرة الذكر فكن مقارنه**(30) وفي الخبر (ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة)، ويقال إن العبد تعرض عليه ساعته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة لذة ونعيما جزاء لما كان أودع خزائنه من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويتحسر كيف فاته حيث لم يدخر فيه شيئا **ويمنع الخواطر الشيطانية** فإن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم يوسوس له فإذا ذكر الله تعالى خنس أي تأخر وذلك قوله تعالى {من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس} وروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأي في النوم جسم رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأي الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس قال الغزالي فانظره، **ويضعف الخواطر النفسانية**(31) وهي خواطر النفس الردية كالتفكر في أمور الدنيا وأما في أمور الآخرة فلا باس به لحديث وددت أن أقاتل في سبيل الله حتى أموت الحديث، فدواء الخواطر الردية دفعها بملازمة الخوف والذكر الدائم مع تكلف

الحضور لأن ذكر القلب هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة فادفعها بها في الابتداء ليلا يستحكم عليه ذلك قال إبراهيم أول الذنب الخطرة فإن تداركها صاحبها بالكراهية وإلا صارت وسوسة فإن تداركها صاحبها بالمجاهدة وإلا هاج منها الشهوة مع غلبة الهوى فيغطي العلم والعقل **فعمر الأوقات ذكرا** قال الغزالي والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا} وقال {الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم} وقد جعل الله التقليل من الذكر علامة المنافقين ذما لهم قال تعالى {ولا يذكرون الله إلا قليلا} **واحتسب** أي اطلب الحسبة أي الأجر وفي الحديث الصحيح (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) الحديث، **وارج** فعل أمر من الرجاء وهو انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس داخلا تحت اختياره وهو اللجأ إلى الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات وفي الحكم العطائية الرجاء ما قارنه عمل وإلا فأمنية، **وخف** أمر من الخوف وهو توقع العقوبة على مجاري الأنفاس واضطراب القلب عند ذكر المخوف والخشية أخص منه قال عليه السلام (أنا أتقاكم لله وأشدكم له خشية) ومر بعض الصالحين على قوم يضحكون قال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين فإن كانوا لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين **والضحك فاهجر** فعل أمر من الهجران أي باعد الضحك بأن تتركه إلا تبسما وهو الضحك بغير صوت، والضحك بالصوت هو القهقهة المنهي عنها لأنها سبب لموت القلب وذهاب الدين قيل من قهقه قهقهة مج من دينه مجة، **وانتحب**(32) أي ابك وفي الحديث (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) رواه البخاري. وفي حديث أبي حازم أن النبي ﷺ نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي فقال من هذا؟ قال فلان قال جبريل أنا أزن أعمال ابن آدم كلها إلا البكاء فإن الله يطفي بالدمع بحورا من نيران جهنم ويتعلق بقوله وانتحب على جهة الشرطية قوله **إن لم تكن تدري لدى الختام** أي خاتمة أمرك عند موتك **أنك ميت على الإسلام**(33) أعاذنا الله تبارك وتعالى من سوء الخاتمة بجاه محمد صلى الله

عليه وسلم وجاه كل من له جاه عند الله فسوء الخاتمة نسأل الله العافية منه هو الطامة الكبرى التي تقصم الظهور وتصفر الوجوه وهي مخاوف العارفين بسر القدر انفطرت لها قلوبهم وغابت لها عقولهم وتصدعت لها أكبادهم وتقطعت وخاف منها العارفون القائمون بحقوق الله تعالى مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم فكيف يأمنها الضعيف المخلط الذي يقوم ويقعد في أسبابها، فمن أسباب سوء الخاتمة أعاذنا الله منه عيوب النفس كالكبر وهو أعظمها والغش والحسد والحقد والعداوة والعجب ودواؤها خمسة أشياء الجوع والفرار من المواضع التي يخاف فيها وقوع الذنب كموضع النساء، وصحبة الصالحين، والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ أعلاها ألف وأدناها مائة على ما ذكر السنوسي وغيره، والالتجاء إلى الله تعالى فيما ينزل به من عارض النفس المذموم عند نزوله ومن أسبابه أي سوء الخاتمة أيضا كما قال الصفي الحلي الكلام حال الأذان قاله أحمد بن حجر الهيثمي ومنها الانكباب على الدنيا والإعراض عن الآخرة قاله عبد الحق الإشبيلي في العاقبة ومنها كثرة الذنوب قال بعض العارفين الذنوب بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت والبريد الرسول، ومنها النفاق والبدعة ومنها دعوى الولاية والكرامة بافتراء، وسئل أيعبر الرؤيا كل أحد قال أبالنبوة يلعب، ومنها وهو أعظمها تكذيب الأولياء والاعتراض عليهم والإنكار عليهم وإذايتهم وعدم الصفاء والمحبة لهم وترك تعظيمهم واحترامهم. اهـ. من فرائد الفوائد. ومن الأمور المعلق عليها الموت على الإيمان أن يصلي كل ليلة ركعتين بعد سنة المغرب يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر مرة وسورة الإخلاص سبع مرات والمعوذتين كل مرة ويقول في كل سجود ثلاث مرات اللهم إني استودعنك ديني وإيماني فاحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي فإذا سلم منها سبح خمس عشرة مرة فمن فعل ذلك حفظ الله عليه الإيمان حتى يلقاه يوم القيامة، ومنها أن يقول يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله يا الله يا الله لا إله إلا أنت أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك أبدا سرمدا يا الله يا الله يا الله أربعين مرة بعد طلوع الفجر وقبل صلاة الصبح، وفي رواية إحدى وأربعين، ومنها أن تقول كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا

أنت، ومنها أن تقول لا إله إلا الله الموجود في كل زمان لا إله إلا الله المعبود في كل مكان لا إله إلا الله المعروف بالإحسان لا إله إلا الله كل يوم هو في شأن لا إله إلا الله الأمان الأمان وأعوذ بالله من زوال الإيمان ومن شر الشيطان الرجيم يا غفار يا رحمان يا رحيم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. انظر فرائد الفوائد. **أو محسن الجواب للسؤال** أي سؤال الملكين في القبر وهما منكر ونكير فيسالان الميت في قبره عن توحيد الله بأن يعيد الله للميت الروح في جميع جسده بقدر ما يفهم به الخطاب ويرد به الجواب بعد فراغ الدفن وانصراف الناس وإنه ليسمع قرع نعالهم فيدخلان عليه في القبر وهما ملكان غليظان أسودان يطآن في شعرهما يشقان بأنيابهما الأرض وهما كصياصي البقر أي قرونها وأعينهما كقدور النحاس وأصواتهما كالرعد القاصف إذا تكلما خرج من أفواههما كالشرر مهولان لا يشبهان الجن ولا يشبهان الإنس وجميع خلق الله يخاف منهما بيد كل واحد منهما مطرقة من نار لو وضعت واحدة واجتمع عليها أهل منى كلهم لم ينقلوها ولو وقعت من تلك المطرقة شررة واحدة على الأرض لم تنبت خضراء إلى يوم القيامة، فيقعدان الميت وينهرانه حتى ترتعد مفاصله وينحل جسمه ويذوب قلبه وتبرز عيناه من رأسه فيقولان له من ربك ومن نبيك فإن كان موقنا بذلك قال الله ربي ومحمد رسول الله ﷺ نبيي أو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ولا ترهشه روعتهما وانتهارهما فيجتزئان منه بذلك ثم يضربان له القبر ويوسعانه له مد البصر يملآنه عليه خضرا ويقولان له نم كنومة العروس لا يوقظه إلا أحب الناس إليه، وأما الكافر أو المنافق والجاهل بعقائد الإيمان بحيث لا يعتقدها في قلبه ولو بالتقليد فيقول لهما لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقولان لا دريت ولا تليت ولا تسال عما يفعل به من أنواع العذاب أعاذنا الله تعالى انظر الجواهر الحسان إن أردت معرفة ذلك، **أو باليمين آخذ الأعمال**(34) أي الكتاب المشتمل على الحسنات، فالمؤمن الطائع يأخذ كتابه بيمينه إجماعا والعاصي على المشهور والكافر يأخذ كتابه بشماله فإذا أخذ المؤمن السعيد كتابه بيمينه وهو كتاب أبيض يبيض وجهه ثم يمد كتابه إلى أصحابه فرحا به ثم يقول هاؤم اقرءوا كتابيه وانظروا إلى ما فيه من

سعادتي ونجاتي فحين إذن يأخذ الملك الموكل به ضبعيه فيرفعه على رؤوس الأشهاد فيقول إن هذا فلان ابن فلان حتى يشهد عليه جميع من في المحشر من الملائكة والإنس والجن ثم يقول قد سعد سعادة الأبد سعادة لا شقاوة بعدها، وأما الشقي أعاذنا الله تعالى فبعكس ذلك، انظر الجواهر الحسان. **أو موقن** أي محقق **أن لست ذا انحياز** أي انضمام **للمجرمين حين الامتياز**(35) أي حين يقال لهم يوم القيامة وامتازوا اليوم أيها المجرمون، أي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم. اهـ. قيل لإبراهيم بن أدهم لو جلست حتى نسمع منك شيء فقال مشغول بأربعة أشياء لو فرغت منها لجلست إليكم قيل وما هي: قال: أولها إني تفكرت في يوم الميثاق حين أخذ الميثاق من بني آدم وقال الله تعالى وتقدست أسماؤه هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فلم أدر من أي الفريقين كنت، والثانية: حيث يقول ملك الرحم يا رب ما الرزق وما الأجل ما العمل أشقي أم سعيد فلم أدر بأي شيء يخرج الجواب، والثالثة تفكرت حين يقول ملك الموت إذا أراد أن يقبض الروح يا ربنا على الإسلام أم على الكفر فلا أدري كيف يخرج الجواب، والرابعة تفكرت في قول الله تبارك وتعالى {وامتازوا اليوم أيها المجرمون} فلم أدر من أي الفريقين أكون. اهـ. جعلنا الله ممن ختم له بالسعادة وأنعم عليه بحسن الخاتمة. **وإن أردت الحوز للأبرار** وهو المؤمنون الصادقون في إيمانهم **فالتزم القيام بالأسحار**(36) قيل من واظب على النوم في الأسحار ليس له في طريق الصالحين نصيب، ومن وصية سيدي أحمد الرفاعي لأصحابه عليكم بالقيام في الثلث الأخير من الليل ولا تفرطوا في ذلك فإنه ما من ليلة من ليالي السنة إلا وينزل نور من السماء فيفرق على المستيقظين ويحرم منه النائمون، قال في الإحياء. وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه). **لا تعصين بالجوارح الأولى** أي اللاتي **غذين من نعماه واهب الإلى** (37) أي النعم فقوله واهب الإلى مفعول به لقوله لا تعصين وتقدير البيت لا تعص واهب النعم

التي من جملتها الجوارح السبع بهذه الجوارح التي غذيت من نعمه تعالى أي رزقت منها لما في ذلك من عدم الشكر لله تعالى لنعمتها فشكر الجوارح التوقي عن الاستعانة بها على معصية الله تعالى والاستعانة بها على طاعته تعالى فكل من استعمل شيئا في غير الجهة التي خلق لها ذلك الشيء أو على غير الوجه الذي أريد به كفر نعمة الله تعالى **وهي** أي الجوارح **سبع ناطقات** يوم القيامة **بالذي تعمل حسن** ما تعمل **أو أسئه يا بذي**(38) قال في القاموس البذي كرضي الرجل الفاحش. اهـ. قال ابن عطاء الله في تاج العروس جوارحك غنمك وقلبك هو الراعي والله المالك فإن رعيتها في المرعى الخصيب حتى أرضيت المالك استوجبت الشكر على المالك وإن رعيتها في المرعى الوخيم حتى عجف أكثرها استوجبت العقوبة من المالك، فإن شاء عفا عنك فجوارحك إما أبواب إلى الجنة وإما أبواب إلى النار، فإن صرفتها فيما يرضاه كنت ساعيا في طريق الجنة وإلا كنت ساعيا في طريق النار فهذه موازين الحكمة فزن بها كما تزن الأشياء المحسوسة. اهـ. كلام ابن عطاء الله. **أبوابها** أي الجوارح السبع **وفق الجحيم الحامية في العد** أي موافقة في العد لأبواب النار السبعة وطبقاتها قال تعالى {لها سبعة أبواب} الآية، وهي جهنم للعصاة من المسلمين ولظى ليهود والحطمة للنصارى والسعير للصابين والجحيم للمجوس وسقر للمشركين والهاوية للمنافقين **نسأل الإله العافية**(39) وفي الحديث اسألوا الله العافية فما أعطي أفضل من العافية إلا اليقين وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الشك والجهل فعافية القلب أعلى من عافية البدن والعافية مصدر جاء على فاعلة من عافاه الله إذا محى عنه الأسقام والبلايا وهي من الألفاظ العامة المتداولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن والدين والآخرة. انظر شرح الخاتمة. **فمن جنى بواحد** أي بجارحة من الجوارح السبع **جناية** المراد بها الذنب **أردته بابا** أي أهلكته في باب من أبواب النار **فتح** بالبناء للمجهول بمعنى مفتوح **الجناية**(40) فاعل أردته وهذا كما قال سيدي عبد العزيز الهلالي:

ومـــن عصـــى بواحـــد منهـــا فقـــد فـــتح بابـــا مـــن جحـــيم قـــد وقـــد

وكما قال الآخر: النار منك وبالأعمال توقدها... إلخ. ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى تعريف الجوارح فقال: **بطن** بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي وهي الجوارح بطن إلخ. أوبدل من قوله سبع ناطقات إلخ. ويصح جره بدلا من قوله بالجوارح الأولى **ورجل ثم فرج مع يد عين وأذن واللسان قيد**(47) عن النطق بما سوى الخير ففي الحكمة لسانك أسدك إن أطلقته فرسك وإن أمسكته حرسك، وفي الصحيح (من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة) وفي الحديث(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يعلم أنها تقع حيث وقعت يكتب له بها سخطه إلى يوم يلقاه، أو قال يهوي بها في النار سبعين خريفا) وقول الناظم رحمه الله تعالى **بالله** يتعلق بمحذوف تقديره أناشدك بالله **لا تكن به** أي باللسان **باللاهي** اسم فاعل من لها يلهو أي لا تكن بمهتم بالنطق باللسان فيما سوى الخير وهو ما تحققت فائدته فقط، **وأبدلنه** أي أبدل ما ينطق به لسانك من غير الخير **ويك** قيل أصلها ويلك **ذكر الله** (42) وما والاه مما يعنيك فليحاسب العبد نفسه على ذكر ما لا يعنيه أنه لو ذكر الله مكان ذلك لكان ذلك كنزا من كنوز السعادة فكيف يترك كنزا من كنوز السعادة ويأخذ بدله هذا قاله الغزالي. فما أحسن قول بعضهم:

اغتـــنم ركعتـــين زلفـــى إلـــى اللـــ ـــــه إذا كنـــــت فارغـــــا وصـــــحيحا
وإذا مـــا هممـــت بـــالنطق بالبـــا طـــــل فاجعـــــل مكانـــــه تســـــبيحا
فاغتنـــام الســـكوت أفضـــل مـــن خـــو ـــض وإن كنـــت فـــي الكـــلام فصـــيحا

وليك ما تسمعه بأذنيك وما تبصره بعينيك **أكثر من ما أنت قائل به** أي بلسانك فإذا فعلت **تكن فطن** (43) أي صاحب فطنة **لذاك** أي لأجل كونك يطلب منك أن يكون ما تسمعه وما تبصره أكثر مما تقوله **لا ازدواج للسان** أي لم يكن زوجا أي اثنين بل كان فردا أي لسانك واحد **وازدوج العينان** أي صارتا زوجا أي اثنتين وازدوج أيضا **الأذنان** (44) فكانتا اثنتين وقد ذكر في جنة المريد أن الله تعالى لما أراد أن ينشئ صورة ابن آدم منذ زمن تقادم ابتناها على صورة مدينة وأتقن فيها من المباني ما يدل على قدرة الباني وأن ليس له ثاني ثم نصب وسط هذه المدينة قصر المملكة وبث حوله أشراك الهلكة وسمى ذلك القصر بالقلب إذ هو بيت الرب وجعل مدار هذه المدينة عليه ويرجع الكل إليه بإشارة (ألا إن في الجسد مضغة ...) الحديث، ووضع في هذا القصر سرير الملك وأجلس عليه ملكا يسمى الإيمان وبث الجوارح في خدمته كالغلمان فقال له اللسان أنا الترجمان وقال العينان ونحن الحارسان وقال الأذنان ونحن الجاسوسان وقال اليدان نحن العاملان وقال القدمان نحن الساعيان. انظر جنة المريد قلت فكان اللسان فردا للاكتفاء بترجمان واحد بخلاف العينين والأذنين للاحتياج لأكثر من حارس واحد وجاسوس كذلك والله أعلم. **أمسكه** أي اللسان **وافطمه** ومن ثم كان أبو بكر رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وكان رضي الله عنه يضع في فمه حجرا اهـ. قوله **هداك الله** جملة اعتراضية دعائية **عن غير ذكره** أي ذكر الله يتنازعه أمسك وافطمه **وما والاه** (45) أي والى ذكر الله وهو ما تمحض فيه الخير وفي حديث أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال له: (عليك بالصمت إلا عن خير) وقال أبو علي الروباذي من سكت عن الحق فهو شيطان قال علماؤنا إذا استوي الصمت والكلام في المنفعة فالصمت مقدم وما ترجح منهما فحكم الوقت له **فإن تمت ولم تك اغتبت الطريد** من رحمته تعالى وهو إبليس **عدونا** معشر المؤمنين قال تعالى {إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا} فإن الشيطان لا يريد من المؤمن إلا أن يردوا معه جهنم ويغضب الله عليهم **فما عليك من وعيد** (46) من الله تعالى على لسان رسوله

ﷺ وغير الشيطان من خلق الله تعالى أحرى من الشيطان في ذلك وهذا من الشيخ رحمه الله تعالى مبالغة من التنفير من اغتياب المسلمين ويا حسنها من مبالغة **وأحص ما تقوله من العمل يحسن** أي عد قولك من عملك وفي الخبر (من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه) وفي الحديث (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، قال الغزالي حد ما لا يعني هو الذي لو ترك لم يفت به ثواب ولم ينجر به ضرر ومن اقتصر على هذا قل كلامه اهـ. **وكن ذا خرس** أي أبكم **عما انحظل**(47) أي امتنع النطق به ومثل الشيخ رحمه الله لبعضه فقال **كالفحش** وهو التعبير عما يستقبح بلفظه البشع كالتعبيرعن الفرج والغائط بأبشع لفظ في ذلك وهو مأخوذ من فحش الشيء فحشا إذا ظهرت قبائحه وفي الحديث (إن الله يكره الفاحش البذي) الذي لا يكني عن الألفاظ المتفاحشة فيدخل فيه كل ما يستحي أن يذكر بحضرة أهل الفضل والصلاح ومن يجب توقيره كالآباء والإخوة كذكر الغائط بألفاظ العامة السفهاء والسفلة من الناس قاله في شرح الخاتمة، ويقرب من هذا كلام المزاح لأنه يؤدي إلى رفع الهيبة والشرف قال بعض الحكماء لا تمازح الشريف فيحقرك ولا الدني فيجترأ عليك وروي عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ (لا تمار أخاك ولا تمازحه) وقيل لكل شيء بدء وبدء العداوة المزاح، وقيل إذا كان المزاح أمام الكلام فآخره الشتم واللطام، وقيل المزاح يذهب بماء الوجه، وقال الشاعر يذمه ويمدحه :

مـــازح أخـــاك مـــا أحـــب مزاحـــا ... وتـــوق منـــه فـــي المـــزاح جماحـــا
فلربمـــا مـــزح الصـــديق بمزحـــة ... كانـــت لبـــدء عـــداوة مفتاحـــا

وقال الآخر

لا تمـــزحن وإن مزحـــت فـــلا يكـــن ... مزحـــا تضـــاف بـــه إلـــى ســـوء الأدب
واحـــذر ممازحـــة تكـــون عـــداوة ... إن المـــزاح علـــى مقدمـــة الغضـــب

وقال الآخر:

فإيـــاك إيـــاك المـــزاح فإنـــه ... يجـــرئ عليـــك الطفـــل والرجـــل النـــذلا

ويـــذهب مـــاء الوجـــه بعـــد بهائـــه ويـــورث بعـــد العـــز صـــاحبه ذلا

وقال الآخر:

يكفـــي الفتـــى يلقـــى أخـــاه وخدنـــه فـــي لحـــن منطقـــه بمـــا لا يغفـــر
ويقـــول كنـــت ممازحـــا ومـــلا عبـــا هيهـــات نـــارك فـــي الحشـــى تتســـعر
ألهبتهـــا وطفقـــت تضـــحك لا هيـــا عمـــا بـــه وفـــؤاده يتصـــهر
أو مـــا علمـــت ومثـــل جهلـــك غالـــب إن المـــزاح هـــو الســـباب الأكبـــر

فهذا ليس من المزاح المحمود فإنما يهيج الضغائن ويعد من السباب والكذب أو يسلط على عرض رجل أو ماله، وإنما المحمود منه ما قل وندر واستجمت به النفس عند كلالها أو بسطت به نفس الغير عن انقباضها أو كان فيه خفض الجناح وبسط الجانب وجلب التودد والتحبب والانبساط للناس وبسط الوجه واللسان مع الناس بالكلام الحسن الحلو السهل كما في مزاح النبي ﷺ فقد كان يمزح ولا يقول إلا حقا، وعن أنس أن النبي ﷺ قال له (يا ذا الأذنين) يعني يمازحه، وعن عكرمة يرفعه أن النبي ﷺ كانت فيه دعابة وقد مدح بمثل ذلك الأشراف والكرام قال الشاعر:

هـــو الظفـــر الميمـــون إن راح واغتـــدى بـــه الركـــب والتلعابـــة المتحبـــب

ويحكي عن جماعة من الصحابة والأئمة مثل علي وابن ثابت وابن سيرين والشعبي وغيرهم ولا يعلم أحد منع المداعبة والانبساط قاله القاضي عياض وقيل الناس في سجن ما لم يتمازحوا، وكان ابن سيرين مداعبا ويضحك حتى يسيل لعابه، وإذا أريد على شيء من دينه كان الثريا أقرب إليه من ذلك، جاءت امرأة الفرزدق تشتكي فتمثل وقال:

لقـــد أصـــبحت عـــرس الفـــرزدق ناشـــزا أو لـــو رضـــيت رشـــح أســـته لا اســـتقرت

وقيل له إن من الشعر ما ينقض فعجب من ذلك، وقال وهو في المسجد

نبئـــت أن فتـــاة كنـــت أخطبهـــا خرطومهـــا مثـــل شـــهر الصـــوم فـــي الطـــول

ثم استقبل القبلة وافتتح الصلاة، قاله السعد في حاشيته على الشفاء، ونقله فرائد الفوائد **والغيبة** وهي ذكرك أخاك بما فيه مما يكره لو سمعه فإن لم يكن فيه فهو بهتان وذكر القرافي في الخلاف في ذكر حال رجل اطلع عليه رجلان بينهما هل يكون ذلك غيبة أم لا ووجه الخلاص من الغيبة بذكر قبحها وذكر عيبك وأن المغتاب عاجز عن إصلاح نفسه كعجزك، وفي الحديث (إن الغيبة أشد من ثلاثين زنية في الإسلام)، وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار **والنميمة** وهي الحديث للغير على وجه الإفساد ولا خلاف أنها من الكبائر وفي الحديث (لا يدخل الجنة قتات أي نمام) أي لا يدخلها في أول السابقين والنميمة أشد من الغيبة لأن فيها الغيبة وزيادة قال الشاعر:

كـم هـدم النمـام مـن قصـر مشـيد بشـفتيه لا بفـأس مـن حديـد

ويتعلق بقوله وكن ذا خرس إلخ. قوله **لوجه ربنا** تبارك وتعالى **وخف أليمه**(48) إي عذابه الأليم فمن شروط التوبة من الذنوب أن تترك اختيارا تعظيما لله وخوفا من عذابه الأليم لا لإضرارها بالبدن أو إخلالها بالعرض والمال ولا لرغبة دنيوية أو رتبة عند الناس أو طلب ثناء أو صيت ونحو ذلك قال السنوسي وأما تركها لخوف النار أو طمع في الجنة هل يكون توبة فيه تردد مبناه هل يكون ندما عليها لقبحها أو لكونها معصية أم لا. **عن القبيح العين صن** أي صن عينك عن القبيح شرعا كالنظر إلى الأجنبية وفي النظر إلى الوجه والكفين تعمدا لغير لذة قولان وحرم للذة اتفاقا وكالنظر إلى الأمرد تلذذا قال ابن عمر النظر إلى أبناء الملوك حرام لأن لهم شهوة كشهوة النساء وكالنظر للخلق على وجه الازدراء والاحتقار وإلى عورات الناس وإلى ما يكره المالك أن ينظر من كتاب أو مال أو غيرهما وإلى الدنيا بعين الرغبة قال:

فإنـــك إن أرســـلت طرفـــك رائـــدا لقلبـــك يومـــا أتعبتـــك المنـــاظر
رأيـــت الـــذي لا كلـــه أنـــت قـــادر عليـــه ولا عـــن بعضـــه أنـــت صـــابر

وصن عن القبيح شرعا **المسمعا** أي الأذن فصنها عن تعمد سماع ما لا يجوز النطق به فإن المستمع للحرام شريك لقائله ولأن المستمع أحد المغتابين قال الشاعر:

تحـــر مـــن الطـــرق أوســـاطها وعـــد عـــن الجانـــب المشـــتبه
وســـمعك صـــن عـــن ســـماع القبـــيح كصـــون اللســـان عـــن النطـــق بـــه

وهل يلزم السامع سد أذنيه أو تعاطي أسباب عدم سماعه من حيث الجملة أم لا قاله في شرح الخاتمة. **والقلب لا يكون شرا ما وعى**(49) أي حفظ في القلب هو المطالب وهو المخاطب وهو المعاقب من الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله فيفلح صاحبه إذا زكاه ويخيب إذا دنسه ودساه وهو المطيع لله تعالى وإنما الذي تيسر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش ءاثاره وباظلامه واستنارته تظهر المحاسن الظاهرة أو مساويه إذ كل إناء يرشح بما فيه هـ **فإنه** أي القلب **أس** أي أصل **لذي الجوارح** السبع وهي فرع فالقلب ملك والجوارح جنوده وشأن الرعية طاعة الملك في الأمر والنهي ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده قال في الإحياء وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستعملها القلب استعمال المالك للعبد وإذا كان القلب هكذا فاصرف عنان همتك إلى صلاحه. **طهره** حتى يتصف بالفضائل كالزهد والرضا وغيرهما **واجله** أي اصقله **عن القبائح**(50) والنقائص القائمة بالنفس ومثل الشيخ رحمه الله لبعضها فقال: **كالحقد** وهو الإقامة على ما في الضمير لمن غضبت عليه مع إظهار ذلك أو إخفائه ويدفعه الحب لمن أنت حاقد عليه والمبالغة في إكرامه وإن أبى باطنك

ذلك فإنه بحسن المعاملة يزول عيب الإساءة ويـيئس الشيطان منك بذلك قال الشاعر:

إن العـــــداوة تســـــتحيل مـــــودة بتـــــدارك الهفـــــوات بالحســـــنات

وقال تعالى: {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} **والحسد** وهو إرادة زوال النعمة عن صاحبها مستحقها سواء أردت نقلها إليك أو مطلقا وهو شر الحسد فأما إن أردت أن تكون لك مثلها فهي الغبطة فإن تعلقت بالدين فمحمودة وإلا فالعكس ويزيله الدعاء والإحسان ليـيئس الشيطان من ضرره بحسدك ولذلك قال رسول الله ﷺ (إذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض وإذا ظننت فلا تحـقـق).ولبعضهم :

ثلاثـــــة لـــــم يـــــنج منهـــــا أحـــــد طيـــــرة والظـــــن ثـــــم الحســـــد
لا تبـــــغ لا ترجـــــع ولا تحقـــــق وقـــــد ســـــلمت خـــــذ كـــــلام مشـــــفق

انظر قلائد اللجين، ودواء الحسد إذا خطر لك فادفعه بالقلب بأن لا يسترسل خاطرك عليه وكراهيته كما تكره ما جبلت عليه من حب المنهيات وتأبى عن إجابة الداعي على الحسد فذلك منتهى التكليف، وأما دافع الخواطر أصلا فلا يدخل تحت التكليف، ومن أدويته أيضا الإحسان إلى المحسود وإكرامه وحسن المعاملة معه والدعاء له بظهر غيب فإن الشيطان يـيئس منك بذلك ومن دوائه النفع للمحسود بجميع وجوهه {ادفع بالتي هي أحسن} الآية. **والرياء** وهو العمل بالطاعة لأجل الناس وما يرجع إليهم من أمور الدنيا قال بعضهم من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب اهـ وفي الحديث (الرياء الشرك الأصغر) وعلامة وجود الرياء سقوط النشاط حيث لا يراك الناس فعلى العبد أن يعمل في الخلا كما يعمل في الجلا وبالعكس ومن أبت نفسه عن واحدة ففيه من الرياء بقدر ذلك إلا بحالة غالبة اهـ من قلائد اللجين، ودواء الرياء هو أن تكرهه وتأبى عن

إجابة الداعية إليه فذلك منتهى التكليف وأما دفع الخواطر ودفع الطبع عن الميل إلى إقبال الناس إليه فلا يدخل تحت التكليف ومن دوائه أيضا علمك بأن الأمر كله بيد الله دقيقه وجليله وأن المخلوق لا ينفع نفسه فكيف ينفع غيره لأنه لا يملك شيئا انظر شرح الخاتمة، **وكالتصنع** للناس ومثاله تزيين الظاهر موضع نظر الخلق وإصلاحه لرؤيتهم مع تدنيس الباطن موضع نظر الخالق وخرابه مما لله وهو مذموم جدا قال الله تعالى {إن الله كان عليكم رقيبا} وقال ﷺ (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا كن ينظر إلى قلوبكم) والباطن أولى بالصلاح من الظاهر فزين باطنك موضع نظر الخالق سبحانه بدلا من ظاهرك موضع نظر الخلق فإذا فعلت ذلك تزدان بغير زينة ففي الحديث من (أصلح سريرته أصلح الله علانيته)، **والاستعلاء**(51) أي طلب العلو في الدنيا عند الخلق وهو مذموم جدا إن خلا من نية صالحة وفي الحديث (حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب)، قال شفيق من دار حول العلو في الدنيا فإنما يدور حول تحويل درجاته في الآخرة حتى لا تبقى له درجة، وأما طالب العلو والجاه والرياسة إن كانت بنية صالحة فمحمود فإن الجاه والرياسة المذمومان المهلكان في الحديث هما اللذان يطلب بهما مجرد التقدم على أبناء الجنس والاستعلاء بالكلمة عليهم لأن اللذان يطلب بهما إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإحياء السنن وإخماد البدع فإنهما محمودان كما كان عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح عليه. **بواطن الأمراض هذى** أي أمراض القلب المذكورة من الحقد والحسد وغيرهما **حادثه** أي طارئة **أواخر المائة أعني الثالثة**(52) من الهجرة النبوية قلت إنما طرأ منها كما حدثني به الشيخ محمذ فال بن متالي رحمه الله تعالى شدتهما واستيلاؤها على النفوس لا وجودها فإنها كانت في زمن الصحابة رضي الله عنهم ولكن كانت غير قوية ولا ضارة لهم رضي الله عنهم وعن جميع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين **فالكبر** وهو اعتقاد المرء فضله على غيره حتى يحتقر من دونه فقد قيل من ظن أنه خير من الكلب فالكلب خير منه، وفي الخبر الصحيح (إن الله يقول العظمة إزاري والكبراء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته) أي أهلكته، **أي**

قادح في الدين يعني أن التكبر قادح في الدين جدا فهو أعظم القوادح أي عيوب النفس لأنه ربما جر إلى الكفر وسوء الخاتمة نعوذ بالله تعالى والخلاص من الكبر الرجوع إلى أصل الأمر أن ترى نفسك ليست بأصل لشيء مما أنت فيه وإن ما بك من خير فمن الله وكما وهب لك فهو قادر على أن يسلبه منك ويمنح من تكبرت عليه ما هو أعظم منه وقد قال الشيخ أبو العباس الحضرمي رضي الله عنه كيف تتكبر علي من لم تقطع بأنك عند الله خير منه وما تدري وما أحد من الناس يدري ما يفعل الله به وبغيره، ولبعضهم:

ولا تخـل لـك العـلا ولـو علـى ذي الكفـر إذ خـتم الأمـور جهـلا
فالفاضـل الفاضـل عنـد الله وإنمـا يعـرف بالتنـاهي

والعجب وهو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم سبحانه والأمن من زوالها فإن أضاف إلى ذلك أنه رأى لنفسه حقا عند الله تعالى ومكان سمي إدلالا ومن رأي النعمة من الله وخاف من زوالها ورأي أنه مقصر في شكرها فليس بمعجب **في العمل ذو توهين**(53) أي تضعيف بمعنى أنه أي العجب يبطل العمل لكن مع بقاء أصل الإيمان بخلاف الكبر والعياذ بالله تعالى، وأشار الناظم رحمه الله تعالى إلى دوائه أي العجب فقال **وإن يكن في النفس إكثار العمل فذرة** أي وزنها وهي أصغر نملة **لم توف من حق الأجل**(54) تبارك وتعالى عليك كيف وإقداره إياك على ما أتيت به نعمة منه يجب عليك شكرها وفي مسند أحمد حديث (لو أن رجلا يجري على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت في مرضاة الله لاحتقره يوم القيامة). انظر شرح الخاتمة. وفي الحكم العطائية كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك ولهذا قال رحمه الله تعالى **وأن للمعبود** تبارك وتعالى **هذا العملا** الذي أعجبت به فإنما هو له تعالى خلقا وإن نسب إليك كسبا فكيف تعجب بعمل لا مدخل لك فيه على الحقيقة وإنما خلقه الله فيك ونسبه إليك فضلا منه تعالى وقال يا عبدي

أنت مطيع وسأثيبك عليه، وفي الحكم العطائية لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء على العمل أن يكون له قابلا، وفيها أيضا إذا أراد أن يتفضل عليك خلق ونسب إليك، **وأنه يمكن أن لا يقبلا**(55) والمقصود من العمل إنما هو قبول المولى جل وعلا ورضاه عن صاحبه وذلك أمر مجهول لا يطلع عليه أصلا في هذه الدار فلو فرضنا أن العبد عمل من الأعمال الصالحة قدر تراب الأرض وعدد أجزائها ولم يعص الله قط فيما أظهر لأمكن أن يوافى الآخرة ولا يقبل منه شيء من ذلك بل يحتمل أن يموت كافرا مخلدا في النار أبدا الآباد بحكم أزلي مضى فيه بذلك ولهذا قال عمر رضي الله عنه لو قبلت مني تسبيحة واحدة ما باليت يعني رضي الله عنه أن قبول التسبيحة الواحدة علم على حسن الخاتمة، وفي الحكم العطائية لولا جميل ستره لم يكن عملك أهلا للقبول أنت إلى فضله إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته اهـ ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى دواء الرياء فقال **واعلم بعجز الخلق إذ جف القلم بكل كائن وأن الأمر تم**(56) وفرغ منه ومن طلب ما لم يخلق تعب ولم يرزق واعلم بأن الأمر كله بيد الله تعالى يعطي ويمنع من يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لأمره والمخلوق لا ينفع ولا يضر لأنه لا يملك شيئا قال بعض الصوفية:

أيـــا مـــراء قلـــب مـــن تـــراءي بيـــــد مـــــن تعصـــــيه لا تـــــراء

يعني أنك عاص لله تعالى طالب بريائك قلب من ترائي له وقلبه بيد الله تعالى فاطلب وجه الله تعالى وحده يعطك الدنيا والآخرة جميعا، وفي الحديث (إن الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا)، قال ابن عطاء الله في تاج العروس من طلب الدنيا بالآخرة كان كمن يأخذ ملعقة ياقوت يغرف بها العذرة أفما يعد هذا أحمق. **ولا تذر من الحياء ما أمر** بالبناء للمفعول **به** منه وهو الحياء الشرعي والحياء لغة تغير يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث

على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذوي الحقوق، قال الجنيدي رؤية الآلاء أي النعم ورؤية التقصير تـتولد بينهما حالة تسمى حياء، وفي الحديث (الحياء خير كله الحياء لا يأتي إلا بخير) وفيه (إذا أراد الله بعبد هلاكا نزع منه الحياء) **وما نهي عنه** من الحياء **فانزجر**(57) عنه أي فأقبل الزجر عنه وهو الحياء الطبيعي إذ هو معدود من الكبر وهو كثير وهو أن يمنعه الحياء من امتثال المأمورات واجتناب المنهيات كأن يمنعه من رفع الصوت بالأذان أو بالذكر بحضرة الناس أو يمنعه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو يمنعه عن سؤاله عن أمور الدين إذا أشكلت عليه ولذا ورد (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهم) وورد أيضا (إن ديننا لا يصلح لمستحي) أي حياء مذموما (ولا لمتكبر) انظر شرح الخاتمة، **واجعل خبيئة** الخبيئة والخبء بالكسر والفتح ما خبئ وغاب وستر يقال خبأه كمنعه إذا ستره كما في القاموس **من الأوراد** أي اجعل ورد عمل وإن قل يكون سترا بينك وبين الله تعالى تخبئه وتستره عن الناس واجتهد في إخفائه عن الناس خوفا من الرياء واكتفاء بنظر الحق تعالى لحديث رواه الشهاب (ما تقرب العبد إلى الله تعالى بشيء أفضل من سجود خفي) وقال الشافعي من أحب أن يفتح الله تعالى قلبه وينوره فعليه بترك الكلام فيما لا يعني وتجنب المعاصي ويكون له ورد فيما بينه وبين الله تعالى، وقال أيضا ينبغي للعالم أن تكون له خبيئة فيما بينه وبين الله تعالى فإن كل ما ظهر للناس من علم وعمل قليل النفع في الآخرة قال وما رئي أحد بعد موته وقال غفر الله لي بعملي إلا قليلا، وقال آخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك وقال الزبير بن العوام اجعلوا لكم خبيئة من العمل الصالح كما لكم خبيئة من العمل السيئ وقالت رابعة ما ظهر من أعمالي لا أعده شيئا أي لعجز أمثالنا عن الإخلاص في العمل إذا رءاه الناس **تقيك** أي الخبيئة من الأوراد **هول الهائل المعاد** (58) من إضافة الصفة إلى الموصوف أي المعاد الهائل، رئي بعض الصالحين في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال ما نفعنا ألا ركعات كنا نركعها في السحر، وفي الخبر (ركعتان في الليل المظلم خير من ألف

ركعة في النهار). **والبطن أمسكن عن عفو الحلال** أي ما زاد على قدر الحاجة من الحلال لكن الجوع للفكرة مقو للخيالات مفسد للقلب وهو ما يتشهي معه كل خبز فيلزم الجوع المتوسط وهو ما يشتهي معه الخبز وحده ثم عند أكله باستقلاله والكاذب ما ينضاف إليه شهوة غيره معتاد له فافهم قاله زروق. **وكل شبهة** وهي ما أخذ وجها من الحلال والحرام وفي جواز الإقدام عليها قولان لتوسطها بينهما وفي الحديث (دع ما يريبك إلى مالا يربك) وقيل الشبهة ما لم يعلم حكمه كثير من الناس ويعلمه العلماء بنص أو قياس أو استصحاب ونحو ذلك، **وكل ذي انحظال**(59) أي امتناع وهو الحرام وهو عند الشافعي ما منع من تعاطيه دليل وعند أبي حنيفة ما لم يرد دليل بحله اهـ وآكل الحرام مطرود ولا يوفق للعبادة إذ لا يصلح لخدمة الله تعالى على وجهها إلا كل طاهر مطهر قال الغزالي إذا كان المحدث يمنع من مس كتابه والجنب منه ومن دخول بيته مع أنهما أمر مباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة فإنه لا يدعى لخدمته تعالى وذكره الشريف وقال غير الغزالي صاحب الحرام لا يفعل إلا المحرمات وصاحب الشبهة يخلط الطاعات بالشبهات وصاحب فضول الحلال واقع في الغفلات والفترات، **فالنفس كالراحلة** من الإبل وهي كما في القاموس الصالحة لأن ترحل وارحلها إذا راضها فصارت راحلة اهـ **الحرون** وهي التي إذا اشتد جريها وقفت **تلفي بنقص الأكل ذات لين** (60) قال بعض الصالحين من رداءة النفس أنها إذا همت بمعصية لو تشفعت إليها بالله تعالى وبرسوله وأنبيائه وكتبه وكل صالح وتعرض عليها الموت والقبر وأهوال يوم القيامة والجنة والنار ما تركتها ثم إن استقبلتها بمنع رغيف فإنها تسكن وتترك شهوتها **وادأب على تذكر الأموات** أي دم عليه قيل أبلغ العظات النظر إلى الأموات وقيل ذكر المنية ينسي الأمنية وفي الحديث (زوروا القبور تذكركم الآخرة) وفيه (لو تكاشفتم ما تدافنتم) فإن فعلت ذلك **يهن ويصغر أطيب اللذات**(61) فإن ذكر الموت يكدر على العبد صفوة لذة الدنيا ولذا كان من أكثر من ذكره يعد من الشهداء كما في حديث عائشة وأنس (قيل يا

رسول الله هل يكون مع الشهداء أحد يوم القيامة قال نعم من ذكر الموت عشرين مرة) وفي لفظ الحديث الآخر (يذكر ذنوبه فتحزنه) وفي الحديث (أكثر من ذكر هادم اللذات الموت) قال الحسن ما رأيت عاقلا قط إلا رايته حذرا من الموت حزينا به، وقد ورد في شدة الموت آثار كثيرة منها ما أخرجه ابن أبي الدنيا بسند رجاله ثقات عن الحسن (أنه ﷺ ذكر الموت فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف)، وفي الحديث أيضا (أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف وإن ألم شعرة من الموت لو وضع على جميع الخلائق لماتوا وإن بين الموت والدخول في الجنة مائة ألف هول منها ما يزيد على الموت مائة ضعف). قال العلاء بن المسيب ليس شيء بعد الموت إلا والموت أيسر منه وفي الحديث (لو أن قطرة من الموت وقعت على جبال الدنيا لذابت)، وقال كعب مثل الموت كشجرة كثيرة الشوك دخلت في جوف ابن آدم فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى. ذكره في شرح الخاتمة، **لا ترن** أي لا تنظر **للأفضل بل للأدون** أي من كان دونك في الدنيا **تحمد وتغتنم مقامك الدني**(62) وفي الصحيحين (انظروا إلى من هو أسفل منكم) أي في الدنيا (ولا تنظرا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) قال عوف بن عبد الله بن عقبة كنت أصحب الأغنياء فأرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت الحديث صحبت الفقراء فاسترحت وقال الشاعر:

فمن يطلب الأعلى من العيش لم يزل ... حزينا على الدنيا رهين غبونها
إذا رمت أن تحيا سعيدا فلا تكن ... على حالة إلا رضيت بدونها

والرجل قيد عن جميع المتقى أي المحذور **منه وألزمنها قيد التقى**(63) فقيدها عن السعي إلى الحرام كالسعي إلى حرابة وزنى ومجالسة أهل البدع والفساق ومن يغتاب الناس وولاة الجور والوقوف بأبوابهم فإنه حرام لأنه إعانة لهم على فعلهم وفي الحديث (من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه) قال أبو عمر وهذا

في الغنى الشاكر فما بالك بغيره إلا لحاجة أو نفع مسلم أو دفع ضر عنه أو المدارات على نفسه والدفع عنها فيباح للضرورة قاله في شرح الخاتمة **فإن كل خطوة** من خطوات قدمك **ستسأل عنها** يوم القيامة وتحاسب عليها **كما أنبا** أي أخبر **بذاك المرسل**(64)عليه الصلاة والسلام قال عليه الصلاة والسلام لجابر (إن الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فته الطين بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) وقال تعالى: {وما ربك بغافل عما يعملون} **وخالف الشيطان في الذي دعا له من الخيرات والشر معا**(65) أي جميعا فإن الشيطان برما يدعوك إلى خير وتنشط فيه ما لا تنشط في نوع آخر وقصده في ذلك الشر بأن يدعو إلى المفضول ليمنعك من الفاضل أو يدعوك إلى خير ليجرك إلى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك الشر من عجب أو رياء أو غيرهما ولقد أحسن البوصيري في قوله :

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

فإنه أي الشيطان **كلب** سلطه الله تعالى عليك روي أن بعض المكاشفين رأى الشيطان في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا **والأولى الالتجا لربه بذا نجاة من نجا**(66) أي بالالتجا بالله المذكور من الشيطان نجا من نجا منه من عباد الله قال تعالى {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان} الآية قيل لبعض الصالحين كيف مجاهدتك مع الشيطان فقال ما الشيطان نحن قوم صرفنا همنا إلى الله فكفانا من دونه ، وقال أبو سليمان الداراني ما خلق الله خلقا أهون عليه من إبليس لولا أن الله عز وجل أمرنا بالتعوذ منه ما تعوذنا منه، وسئل بعضهم بما تدفع الشيطان فقال لا أدفع من لا أعرف وقال أبو حازم وما الشيطان حتى يهاب والله لقد أطيع فما نفع ولهذا عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان منديل هذه الدار يعني تمسح به أقذار النسب وهي نسب الشرور وأنواع المعاصي تضاف

إليه أدبا مع الله تعالى، وهذا سر إيجاده كما قال تعالى { وما أنسينيه إلا الشيطان أن أذكره} وقال تعالى {هذا من عمل الشيطان} وأما أن له حولا وقوة يضر بهما أو ينفع فلا، **أيا من** مضارع من الأمن ضد الخوف والهمز للاستفهام والإنكار **الذي عصى من أنعما** عليه **بالسبع** الجوارح **أن يسلب هذي النعما**(67) التي هي الجوارح بل وغيرها من سائر النعم قال الشاعر:

إذا كنـــــت فـــــي نعمـــــة فارعهـــــا ... فـــــإن المعاصـــــي تزيـــــل الـــــنعم
وحـــــافظ عليهـــــا بتقـــــوى الإلـــــه ... فـــــإن الإلـــــه شـــــديد الـــــنقم

ويعقب الأدواء جمع داء للمرض **والآلاما** جمع ألم للوجع **فيها إذا هو بها ألاما** (68) أي أتى بما يلام عليه شرعا وفي الحديث (كفوا عن المعاصي قبل أن يأخذكم الله فيدعكم هتا بتا) الهت بالكسر والبت كذلك القطع قاله في شرح الخاتمة. **والذنب موجب لسوء المختم** أي سوء الخاتمة أعاذنا الله منها وذلك أن الذنوب تورث قسوة القلب وظلمته فإذا كثرت يخاف على صاحبها الموت على سوء الخاتمة أعاذنا الله منه أن الذنوب كما قيل بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت والبريد الرسول يعني أول الذنوب قسوة وآخرها والعياذ بالله شؤم وشقوة انظر إلى أمر بلعام ابن باعوراء كان أول أمره ذنبا وآخره كفرا نسأل الله تعالى السلامة بجاه محمد ﷺ وكل من له عنده جاه **وهو** أي سوء الخاتمة أعاذنا الله تعالى منه **الذي يحذر كل مسلم** (69) قال ﷺ (شيبتني هود وأخواتها) وروي أن عيسى عليه السلام قال يا معشر الحواريين إنكم تخافون المعاصي ونحن معشر الأنبياء نخاف الكفر، وقال سهل: رأيت كأني دخلت الجنة فرأيت ثلاثمائة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة. ولما طرد إبليس بكى جبريل وميكائيل عليهم السلام زمنا طويلا، وإذا كان هذا حال أفضل الخلق والأنبياء والملائكة والأولياء فينبغي للعبد المشفق على نفسه أن لا يفارقه الخوف والحزن والبكاء والعويل خوفا من سوء الخاتمة لسعة المشيئة {ولو شاء الله ما أشركوا - ولو شاء ربك لآمن من في الأرض

كلهم جميعا – ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها} اللهم إني أسألك العافية بمحمد صلى الله عليه وسلم، **فاستغفر الله من العصيان** وفي الخبر ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة، وفي الحديث (إن العبد إذا أذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه فإن هو ندم وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى يغلف قلبه وهو الرين الذي ذكر الله تعالى في قوله كلا بل ران على قلوبهم الآية) قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لا أحدثكم إلا عن كتاب منزل أو نبي مرسل العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين واستغفر سقط عنه أسرع من طرفة عين، **واشكر دواما نعمة الإيمان** (70) وغيرها من جميع النعم فإن الشكر يطلب لأمرين لتدوم النعمة {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} ولحصول الزيادة {لئن شكرتم لأزيدنكم}الآية، **فعدم الشكر على الإسلام من موجبات سلب الإنعام** (71) به ففي الحكم العطائية من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكر فقد قيدها بعقالها وفيها خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون استدراجا {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون}، فبالشكر تقييد النعمة وبتركه زوالها فالنعمة وأسبابها كل منه تعالى كما أن شكرها بنسبتها إليه وعدم عصيانه بها أيضا منه، ولقد أحسن القائل:

إذا كـــان شـــكري نعمـــة الإلـــه نعمـــة ... علـــي لـــه فـــي مثلهـــا يجـــب الشـــكر
فكيـــف بلـــوغ الشـــكر إلا بفضـــله ... وإن طالـــت الأيـــام واتســـع العمـــر
فـــإن مـــس بالنعمـــاء عـــم ســـروره ... وإن مـــس بالضـــراء أعقبهـــا الأجـــر
فمـــا منهمـــا إلا لـــه فيـــه نعمـــة ... تقـــر بهـــا الأوهـــام والســـر والجهـــر

فاحمد الله تعالى والحمدلة تجب مرة في العمر والحمد لغة الوصف بالجميل على جهة التبجيل سواء كان في مقابلة نعمة أم لا وكونه وصفا يفيد أنه إنما يكون بالكلام والحمد عرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب إنعامه **وسل** فعل أمر من السؤال أي اسأل الله تعالى أن يثبتك على الإيمان واطلب منه جميع حوائجك وفي الحكم العطائية متى أطلق لسانك بالشكر فاعلم أنه يريد أن يعطيك قال الشاعر:

لـــو لـــم تـــرد نيـــل مـــا أرجـــو و آملـــه مـــن نيـــل جـــودك مـــا علمتنـــي الطلبـــا

واستنجدن مولاكا تبارك وتعالى أي استعن به فيما تطلبه ففي الحكم العطائية ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك قال الشاعر:

إذا لـــم يعنـــك الله فيمـــا تريـــده فلـــيس إلـــى شـــيء ســـواه ســـبيل
وإن هـو لـم يرشـدك فـي كـل مسـلك ضـــللت ولـــو أن الســـماك دليـــل

وقال آخر:

إذا كـــان غيـــر لله للمـــرء عـــدة أتتـــه الرزايـــا مـــن بطـــون الفوائـــد
لقـــد جـــرت الحنفـــاء حتـــف حذيفـــة وكـــان يراهـــا عـــدة للشـــدائد

واشكر على جميع ما أولاكا(72) أي أعطاك من النعم ونعم الله تعالى على العبد لا تحصى {وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها} وذلك عجز عن شكرها بل عجز عن شكر نعمة واحدة منها وذلك أن الأنفاس إثنا عشر ألفا داخل ومثلها خارج في اليوم الواحد فأنعم الله علينا بأن تدخل بغير كلفة وتخرج بغير مشقة مع اليقظة والنوم فهذه واحدة من نعم كثيرة في البدن عديدة عجزنا عن شكرها وكثير من الناس لا يعرفونها ذكره محمد بن سعيد، وروى أبو داوود (من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال حين يمسي مثل ذلك اللهم ما أمسى بي من نعمة إلخ فقد أدى شكر ليلته) اهـ ولما فرغ رضي الله عنه من الكلام على عيوب النفس وغير ذلك مما تقدم شرع يتكلم على الآداب والفضائل، والأدب قسمان أدب ظاهر وأدب باطن وحسن أدب ظاهر العبد تبع لحسن أدب باطنه فقال رضي الله عنه **ثم من الأدب** قال عبد الله بن المبارك الأدب أشرف أخلاق العبد وقال أيضا نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العمل، وقيل الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف وقال

الأستاذ أبو علي ترك الأدب يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب وأنشدوا:

مـــا وهـــب الله لامـــرئ هبـــة اشـــرف ... مـــــــن عقلـــــــه ومـــــــن أدبـــــــه
همـــــا حيـــــاة الفتـــــى فـــــإن فقـــــدا ... ففقـــــــده للحيـــــــاة أجمـــــــل بـــــــه

حسن الخلق بضم الخاء قال الحسن البصري حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه، وقال أبو القاسم الجبائي وأن تخاطب الناس بقدر عقولهم اهـ. انظر آخره في شرح الخاتمة قال علي الأجهوري:

ثمـــت حســـن الخلـــق أن تعـــاملا ... كـــل أمـــرئ بمـــا يســـر عـــازلا
مخـــــالف الســـــنة لا تأتيـــــه ... إلا إذا مـــــا تلتجـــــي إليـــــه

وفي الحديث (من سعادة المرء حسن الخلق) وفيه (أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق) وفيه (إن العبد ليدرك بحس الخلق درجة القائم بالليل الصائم بالنهار الظامئ بالهواجر) وفيه (إن الله كريم يحب مكارم الأخلاق) قال الشاعر:

بمكـــــارم الأخـــــلاق كـــــن متخلقـــــا ... ليفـــــوح مســـــك ثنائـــــك العطـــــر الشـــــذي
وانفـــــع صـــــديقك إن أردت صـــــداقة ... وادفـــــع عـــــدوك بـــــالتي فـــــإذا الـــــذي

يريد بقية الآية {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم}الآية. **و**من الأدب **عدم التفاته** أي العبد **للخلق**(73) **خوفا** والمراد بالخوف المذموم هو المانع من فعل واجب أو ترك محرم والخوف الذي لم تجر العادة أنه يخاف منه كمن يتطير بما لا يخاف منه وأما خوف كالأسد والأفاعي والظلمة فجائز وقد يجب الخوف من الخلق كالفرار من أرض الوباء قبل أن يدخلها لخوف الوباء فصون النفس والأجساد والمنافع والأعضاء والأموال والأعراض عن الأسباب المفسدة واجب قاله المناوي **و** عدم التفاته للخلق **شكوى** إليهم لأن الشكوى إليهم ذل

وإظهار الذل للعبيد مع كونهم أذلاء قبيح وأما إظهار البلاء على وجه الشكوى إليه تعالى فلا ينافي الصبر قال تعالى في حق أيوب {إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب - قال إني مسني الضر} **و** من الأدب عدم **تتبع الرخص** أي النزول عن مقتضيات عزائم الشريعة إلى تتبع الرخص فيها فقد عدوا هذا من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القربة ولهذا قالوا إذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فاعلم أنه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله وقال ابن عفيف الإرادة استدامة الكد وترك الراحة وليس شيء أضر على المريد من سماحة النفس في قبول الرخص والتاويلات ونعني بالرخص هنا ما كان مضادا لحال المريد من تناول الشهوات والميل إلى المألوفات والمعتادات والركون إلى الدعة والراحات وارتكاب الشهوات بالتأويلات فإن حال المريد تقتضي مباينته لهذا كله وإن كان ذلك مباحا في رخصة الشرع لعامة الناس وقد أجمعوا أن كل مريد مهد لنفسه ارتكاب الرخص دون العزائم لا يجيئ منه شيء في الطريق. انظر شرح الخاتمة أو شرح شهية السامع، **و** من الأدب أن يكون **بالمباح عقد طاعة ينص**(74) أي بأن ينوي به الطاعة أو ليتوصل به إلى الطاعة أو يكف عن الحرام فالأول كالجلوس في المسجد للاستراحة مضموما إليه نية الاعتكاف لحديث (من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة) والثاني كالأكل للقوة للعبادة وعلى كسب الحلال وكالنوم في القيلولة للإعانة على قيام الليل، وجاء أن النوم إذا قصد به الطاعة كان مأجورا عليه وجاء أن من شرب الماء وقصد به العون على الطاعة وسمي أولا ثم قطع وحمد يفعل ذلك ثلاثا أن الماء يسبح في جوفه صح من ابن أبي جمرة، والثالث كالجماع لكسر الشهوة حذرا من الوقوع في الزنا لحديث مسلم (وفي بضع أحدكم صدقة فقيل أيأتي أحدنا شهوته و له فيها أجر قال أرأيتم إذا وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر) وفي رواية (تحسبون الشر ولا تحسبون الخير) ومن الأدب **تيامن** و **تسمية** في محلهما ومن محل التيامن دخول المسجد وغسل أعضاء الوضوء ولبس النعلين والخفين وغير ذلك وأما التسمية فتشرع في غسل وتيمم وأكل وشرب وذكاة وركوب دابة وسفينة

إلى غير ذلك مما هو مبسوط في محله في الفقه ومن الأدب **حمد** في محله ومنه حمد العاطس ندبا وقيل سنة يقول الحمد لله ويزيد رب العالمين عند ابن مسعود وليجهر بالحمد ليسمع فيشمت له، وكان عليه السلام إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه فخفض أو غض بها صوته وقال (إذا عطس أحدكم أو تجشا فلا يرفعن بها صوته فإن الشيطان يجب أن يرفع صوته)، ومن عطس في الصلاة فلا يحمد إلا في نفسه وقال سحنون ولا في نفسه، **و** من الأدب **سد** الفم عند التثاؤب بظاهر اليمين وباطنها وبباطن اليسرى لا بظهرها لأنه محل الأقذار فإذا زال التثاؤب نفث ثلاثا في غير الصلاة لا فيها ويستأنف ما قرأ في حال التثاؤب وليمسك على فيه فإن الشيطان في فيه يضحك لأن التثاؤب من الشيطان ومن الأدب **عيادة** للمريض مرضا معتبرا وفي الحديث (من عاد مريضا لم يزل في مخرفة الجنة) إي جنانها والمخرفة البستان أي يستوجب الجنة ومخارفها وجنانها وتندب العيادة غدوة ومساء لخبر (ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه ألف ملك حتى يصبح) اهـ ومن الأدب **نشر السلام** وإفشاؤه وهو إظهاره بين الناس ليجددوا سنته وأن تعم به الخلق ولا تخص به المعرفة وفي الصحيح (خير الإسلام أن تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) وكان ابن عمر إذا صلى الصبح مشى في الأسواق وما له حاجة إلا إن يسلم على الناس لأن السلام اسم من أسماء الله يفشيه بين الناس وفي إفشاء السلام تمكين ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفوس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين ويتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي المخالفة **ثم** من الأدب **رد**(75) السلام بأن يقول وعليكم السلام فتكتب له عشر حسنات فإذا قال ورحمة الله كتبت له عشرون حسنة وإذا قال وبركاته كتبت له ثلاثون، وإذا لم يكن في البيت أحد فيستحب له أن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ونظم بعضهم من لا يجب عليه رد السلام فقال:

رد الســـــلام واجـــــب إلا علـــــى ... مـــن فـــي صـــلاة أو بأكـــل شـــغلا
أو شـــــرب أو قـــــراءة أو أدعيـــــه ... أو ذكـــــر أو فـــــي خطبـــــة أو تلبيـــــه
أو فـــي قضـــاء حاجـــة الإنســـان ... أو فـــــــــي إقامـــــــــة أو الأذان
أو ســـــلم الطفـــــل أو الســـــكران ... أو شـــــابة يخشـــــى بهـــــا افتـــــتان
أو فاســـــق أو نـــــاعس أو نـــــائم ... أو حالـــــة الجمـــــاع أو تحـــــاكم
أو كـــان فـــي الحمـــام أو مجنونـــا ... فواحـــــد مـــــن بعـــــدها عشـــــرونا

و من الأدب **العفو** عمن ظلمك قال تعالى {وليعفوا وليصفحوا} وقال عليه الصلاة والسلام (أمرني ربي أن أصل من قطعني وأعطي من حرمني وأعفو عمن ظلمني) والعفو ترك ما وجب له قال الفضيل بلغنا أن الله تعالى إذا أراد أن يتحف عبده سلط عليه من يظلمه وفي الحديث (من دعا على ظالم فقد انتصر منه) **مع إعطاء ذي الحرمان** أي من حرمك غير ما وجب لك وأما إن حرمك ما وجب لك فهو العفو عمن ظلم، ويعطي من حرم سوءا طلبه أو لم يطلبه وقبل الطلب أبلغ و **سواك** فهو من الأدب أيضا أي استياك قيل في فضائله أنه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل طلوع الروح وفي البخاري (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) والحكمة في مشروعية السواك تطييب الفم للملائكة الذين معك حافظيك والملك الذي يضع فاه على فيك عند قراءة القرآن ولذلك يتأكد استحباب السواك عند الصلاة والتلاوة وفي الحديث (أن العبد إذا قام يصلي قام خلفه ملك فيستمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صارفي جوف الملك) و **التشميت** للعاطس بأن يقول للعاطس يرحمك الله أسمعه حمد الله أو سمع قوما شمتوه وفي تنبيه للتحميد قولان مثل أن يقول له ما ذا يقول من عطس والتشميت سنة كفائية وقيل مندوب وقيل فرض عين وهو لأهل الظاهر وقيل فرض كفاية وهو المشهور ولو كرر العاطس فوق ثلاث سقط تشميته ويقال له شفاك الله أنت مزكوم ولا تشمت الشابة المفتنة ويقال للكافر هداك الله ولا يشمت العاطس إن لم يحمد الله ويرد العاطس على من شمته بأن يقول به يغفر الله لنا ولكم **واستيذان**(76) فهو من

الأدب أيضا وهو طلب الإذن ثلاث مرات من أهل البيت وإلا رجعت وهو فرض عين شرع لستر العورة ولا يحتاج إلى استيذان في المسجد وبيت القاضي والعالم والطبيب وصفة الاستيذان أن يقول السلام عليكم آدخل وله أن يقتصر على السلام والتنحنح وقرع الباب ثلاثا ويستاذن على أمه وأخته وعلى كل من لا يحل له النظر إلى عورته وإن استأذن وقيل له من هذا سمى نفسه باسمه أو ما يعرف به قولان ولا يقول أنا لما في مسلم (أنه ﷺ قال يوما من هذا قال جابر أنا فخرج وهو يقول أنا كأنه كرهها)، **مع المصافحة** وضع باطن الكف على كف صاحبه عند التلاقي مع ملازمة ذلك على قدر ما يقع من السلام أو كلام عرض لهما وعلى قدر وجود ما يفهم به غبطة كل بصاحبه ثم يزيد، وأما اختطاف اليد بعد التلاقي بسرعة فمكروه وفي الحديث (ما من عبدين متحابين في الله عز وجل استقبل أحدهما صاحبه وصافحه ويصليان علي إلا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر)، **والحياء** وهو كما في قلائد اللجين خجل القلب عند ملابسة الذنب عند اطلاع الرب وقلة الحياء بأن لا يخجل عند تلبسه بالمعصية خجلا يؤدي إلى تركها وسبب ذلك كثافة حجاب الغفلة على عين بصيرته ودواؤه استشعار النفس باطلاع الله عليه وأنه حاضر لا يغيب وسميع بصير بكل ما يصدر من خلقه قل أو جل ولا تغلق دونه الأبواب وليجر على قلبه بالتكرار لفظة الله معي الله ناظر إلي شاهد علي وفي الحديث (استحيوا من الله حق الحياء وقالوا إنا نستحي والحمد لله قال ذلك كذلك لكن الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوي وتذكر الموت والبلى ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)اهـ وقد تقدم بعض الكلام على الحياء عند قوله ولا تذر من الحياء ما أمر فراجعه هناك فنحن لا نطيل به هنا **كذا** من الأدب مع الله تعالى **انتفا** أي عدم **تعرض القضاء**(77) أي تعرض العبد للقضاء من الله تعالى وعدم رضاه به **ولو** كان التعرض للقضاء **بلو** ففي صحيح مسلم (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء لا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء الله كان فإن لو تفتح عمل الشيطان) أي قولها أو اعتقاد

معناها يظهر الطعن على القدر ويفضي بالعبد إلى ترك الرضا بما أراده تعالى لأن القدر إذا ظهر بما يكره العبد قال لو فعلت وقد مر في علم الله تعالى أنه لا يفعل إلا ما كان قاله عياض في المشارف، و**ليت** كما إذا قال إذا وقع شيء ليته لم يقع أو بالعكس قال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه، و **لعل** و **لولا** كما إذا قال في شيء وقع مقارنا لسبب لولا هذا السبب ما وقع هذا **و** من الأدب أيضا **عدم اعتراضه** أي العبد **للمولى**(78) أي عليه تبارك وتعالى **قلبا وقالبا** أي بقلبه وبلسانه كالتبرم من أحكامه وقد ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له خبر ثلاثة أيام فقيل له لو سالت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي **و** من الأدب **ترك** تعاطي **الاختيار معه** تعالى بل الأدب أن يترك له تعالى لأنه يعلم بواطن الأشياء وحقائقها فحسن اختياره تعالى لك خير من اختيارك لنفسك فما اختار عبد لنفسه حالا إلا كان منوطا ببلاء، **كذا التدبير** أي تدبير العبد مع الله تعالى وهو أي التدبير تقدير شؤون يكون عليها حالا أو مآلا مما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض وأن صحب بالتفويض لم يكن تدبيرا على التحقيق وإن أطلق عليه فمجاز وقوله **قلبا باعتبار**(79) أي بالقلب مع التفكر احترازا عن التدبير بالقالب والصورة مع تفويض الأمر إلى الله تعالى فهذا محمود شرعا ومأمور به ألا ترى الفاروق رضي الله عنه دبر تجهيز الجيش في الصلاة وكتدبير براءة الذمم من الحقوق إما وفاء وإما استحلالا وتصحيح التوبة والفكرة فيما يؤدي إلى قمع الهوى والشيطان ولذا فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكتدبير المتاجر و الغراسة ليأكل منها حلالا ويتعطف على المحتاجين ويتعفف فالمذموم تدبير الدنيا للدنيا بأن تكون حظ نفس لا تدبير الدنيا للآخرة فإنه محمود ويدل له الحديث (إن الله يحب العبد المحترف) وحديث (إن الله يحب أن يرى عبده تعبا في طلب الحلال) انظر شرح الخاتمة. **واصدق** فعل أمر من الصدق وهو الإخلاص وهو إفراد المعبود بالعابدة وسمي إخلاصا لأنه خلوص من الآفات كالرياء والسمعة والعجب وحب المحمدة

وكراهة المذمة، **وراقب** فعل أمر من أمر المراقبة وهي ملاحظة الرقيب ودوام علم القلب باطلاع الله تعالى عليه علما لا زما للقلب ومن علم أن الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر علما يقينا خرج إلى مراقبة ضرورة، **وارض** عن الله تعالى والرضا بقضائه تعالى واجب على المكلف في كل أمر من طاعة أو معصية أو نعمة أو بلية وأما الرضا بالمقضي فتجري فيه أحكام الشرع الخمسة فيجب الرضا به إن كان واجبا ويندب إذا كان مندوبا ويحرم إن كان حراما ويكره ويباح كذلك بسحب متعلقه كما في أنوار البروق للقرافي. اهـ حال كونك **ذا توكل** وهو أي التوكل ثقة القلب بالوكيل الحق ودليله قوله تعالى {فتوكلوا إن كنتم مؤمنين – و من يتوكل على الله فهو حسبه} أي كافيه وفي الصحيحين أنه ﷺ قال (يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا لا حساب عليهم ثم قال الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)، وروي (لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كما ترزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا)اهـ **واقنع** أمر من القناعة وهي عدم استشراف القلب إلى ما زاد على الكفاية من الخلق فإنها نجاة من آفات الطمع وحرية من رق المطموع فيه وصيانة للنفوس وعز لها وراحة من التعب وفراغ وأمن ومال لا ينفد قال بعضهم:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم ... وليس الغنى إلا عن الشيء لا به

وقال آخر:

الحر عبد إن طمع ... والعبد حر إن قنع

فاقنع ولا تطمع فما ... شيء يشين كالطمع

وقال آخر

وجدنا في القناعة كل عز ... ولا عز أعز من القناعة

وأنشد الفلشاني للامام مالك

هـــي القناعـــة لا أبغـــي بهـــا بـــدلا فيهـــا النعـــيم وفيهـــا راحـــة البـــدن
فـــانظر لمـــن ملـــك الـــدنيا بأجمعهـــا هـــل راح منهـــا بغيـــر القطـــن والكفـــن

وقال آخر

للنـــاس مـــال ولـــي مـــا لان مالهمـــا إذا تحـــرس أهـــل المـــال حـــراس
مـــالي الرضـــا بالـــذي قـــد كنـــت أملكـــه ومـــالي اليـــأس ممـــا يملـــك النـــاس

حال كونك **مفوضا إلى الله العلي** (80) أمورك و التفويض كما في قلائد اللجين واجب وهو ترك ما فيه خطر إلى المدبر القادر وحدَّهُ الغزالي في المنهاج بأنه إرادة المفوض أن يحفظ الله تعالى عليه مصالحه ومن لازمه وقي كل شر يتوقعه من المكروهات تفضلا من الله الكريم وقد قال تعالى في قصة مؤمن آل فرعون وهو حزقيل لما فوض إليه الأمر {فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعن سوء العذاب} ومن أراد الكلام على التفويض فعليه بنظم الشيخ الذي أوله يا أيها الطالب للعباد عليك بالتفويض إلخ. **واسق الإيمان واغسل حوبه** المراد بالحوب هنا دنس الإيمان بكثرة المعاصي كما في شرح الخاتمة **مطر الأعمال** يتعلق بقوله واسق الإيمان وقوله **وماء التوبة**(81) يرجع إلى قوله واغسل حوبه ففيه لف ونشر مرتب يعني أن من الأدب أن تطهر الإيمان إذا دنس بكثرة المعاصي بماء التوبة واستعار الماء للتوبة لأنها ترفع حكم المعاصي المتجددة كما ترفع الشهادة حكم الشرك ومن الأدب أيضا أن تسقي شجر الإيمان حتى يحيا ويثمر وتخرج أغصانه وثماره من كل جزء من أجزاء البدن ولا حياة لشجر الإيمان إلا بأن يسقى على الدوام بأمطار الأعمال والطاعات فمن فرط في الطاعات وأعرض عن التقرب إلى الله تعالى والتضرع إليه على مر الزمان والساعات يبست شجرة إيمانه و قلت ثمارها فلم تنفذ إلى الجوارح وإن كانت الجوارح عريت من ثمار الإيمان صارت مأوى لأفاعي المعاصي وحياتها وعقاربها فإن مياه الأعمال والطاعات تنفذ من ظاهر البدن إلى شجرة الإيمان بالباطن فتنعشها وتقوي نبات عروقها في صميم

القلب وتغسل عنها أدرانها وتكثر ثمارها وفروعها وتسطع أنوارها وتقبل عند ذلك المواهب اللدنية على القلب في كل لحظة وساعة ذكره. في شرح الخاتمة **واستغفرن واحزن لفوت الطاعه** يعني أن من الأدب الاستغفار والندم والحزن على فوات الطاعة ولا سيما التهجد لشرفه والحكمة في الندم أنه يعود على الوقت الفارغ فيملؤه ثم بعد الندم والاستغفار شكر الله تعالى على العافية التي خلعها عليه حتى نام وشبع من النوم فإن فاته التهجد فقد حصل الخير من جهة شكر الله تعالى على العافية فإنه الذي يمكن تداركه بعد فوات الوقت في تلك المواهب الشريفة، **ولازم الضحى** يعني أن من الأدب ملازمة صلاة الضحى لما في الغفلة عنها من فوات السنة ومن فضلها أن ركعتين منها تجزئان عن صدقة الأعضاء التي تصبح عليها كل يوم وأنها تجلب الرزق وتنفي الفقر وتوجب البركة، كما روي عن السلف وفي عبد الباقي أن أقلها ركعتان وأكثرها ثمان ووسطها ستة وتكره الزيادة على أكثرها إن صلاها بنيتها لا بنية النفل المطلق واختار الباجي أنها لا تنحصر في عدد بل لو صلى مائة ركعة أو أكثر قبل الزوال فهي ضحى ووقتها من حل النفل للزوال وأحسنها إذا كانت الشمس من المشرق ميلها من المغرب وقت العصر كما إذا مضى من طلوع الشمس أربعون درجة **مع الجماعة** (82) يعني أن من الأدب عدم التهاون بوقوع الصلاة في الجماعة وذلك لما في التهاون بصلاة الجماعة من الخسران النسبي وفي كلام الشاذلي إذا رأيتم الرجل يتهاون بصلاة الجماعة لا تعبأوا به، وإن السلف يعزون أنفسهم إذا فاتت أحدهم صلاة الجماعة ويقولون هذا ذنب عجلت عقوبته ويعزون ثلاثا إذا فاتتهم التكبيرة الأولى تكبيرة الإحرام، ووقع لبعضهم أنه خرج إلى حديقة نخل له فرجع وقد صلى الناس صلاة العصر فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة الجماعة أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة اهـ. وقوله **والصبر** عطف على قوله مع الجماعة فهو مجرور أو على قوله ولازم الضحى فهو منصوب يعني أن من الأدب الصبر وهو لغة الحبس وشرعا حبس النفس على العبادة ومشاقها والمصائب وحرارتها وعن المنهيات والشهوات ولذاتها قال الشيخ زكرياء الصبر حمل النفس على كريه يتحمله وعلى لذيذ يفارقه، وذكر

الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا ولا يصبر العبد إلا بأحد أمرين مشاهدة العوض وهو حال المؤمنين ومقام الأبرار والنظر إلى المعوض وهو حال الموقنين ومقام الأكرمين اهـ قاله في شرح الخاتمة. ويجب على المكلف الصبر على توفية الطاعة الواجبة وعن المعاصي وعن السخط في المصيبة المؤدي لارتكاب معصية كالنياحة على الميت ولطم الخدود وشق الجيوب وأما الصبر على المندوب وعن المكروه فمندوب وعلى المباح فمباح إلا لغرض شرعي كرياضة نفس وزهادة في حظ عاجل وعلى مكروه في الشرع فيكره فتبين بهذا التفصيل أن الأحكام الخمسة تعتريه قاله في قلائد اللجين. **والشكر** يعني أن من الأدب شكر نعم الله تعالى وهو أي الشكر قسمان عام وهو الحمد باللسان وأن يعرف أن النعمة من الله تعالى وخاص وهو الحمد باللسان والمعرفة بالجنان والخدمة بالأركان وحفظ الجوارح عما لا يحل قاله السمرقندي وقد تقدم بعض الكلام على الشكر عند قوله واشكر على جميع ما أو لاكا فراجعه هناك. **ورؤية النعم لواهب السراء في طي النقم**(83) يعني أن من الأدب أن تشهد النعم وهي جمع نعمة من الله تعالى في طي النقم جمع نقمة وهي ضد النعمة وذلك لأن النقم للمؤمن نعم على الحقيقة بدليل أنها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلات في العاقبة تتلاشى في جنبها مشقة هذه النقم ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها ويحميك من علة عظيمة مخوفة الخطر فيؤدي إلى صحة البدن وصفوة العيش فألم الدواء نعمة بالغة في الحقيقة وإن كان في صورته مكروها فأنت تحمد الذي تولى هذا بل تحسن إليه ما أمكنك فكذلك حكيم هذه النعم {عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله في خيرا كثيرا} **وادأب على الدعاء** يعني أن من الأدب الدؤوب على الدعاء أي الإدامة عليه وهو أي الدعاء طلب مصحوب بأدب في بساط العبودية لجناب الربوبية وتركه سوء أدب لأن فيه إظهار الغنى وليكن دعاؤك **بالتذلل مع افتقار** قال القشيري من شرط الدعاء صدق الافتقار في الابتداء بحيث لا يكون هازلا ثم حسن الانتظار في الانتهاء أي لا يستعجل وقوع ما طلبه، وقال الفشني في شرح الأربعين والحكمة في أن الله تعالى طلب منا سؤال الهداية إظهارا للافتقار والإذعان

والإعلام بأنه لو هداه قبل أن يسأله لادعاه {قال إنما أوتيته على علم عندي} فيضل بذلك، وإذا سأل العبد ربه فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية، ومع **مناجات العلي** (84) تبارك وتعالى قال الشيخ أبو الحسن لا يكن حظك من الدعاء الفرح بقضاء حاجتك دون الفرح بمناجات ربك فتكون من المحجوبين اهـ. **وانتق الآي** جمع ءاية أي اختر الآيات الفاضلة يعني أن من الأدب أن تهتم بقراءة الآيات الفاضلة ولا سيما إن ضاق الوقت أو العمر، فروى الشيخان (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه) أي آفات تلك الليلة وقيل كفتاه لقيامها النووي يصح الأمران، وروي في الثواب (آية الكرسي تعدل ربع القرآن) وورد أن من قال حين يسمي ويصبح {فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ... إلى ... تخرجون} أدرك ما فاته في ليلته أو يومه رواه أبو داوود **و** انتق أي اختر أيضا **فواضل السور** جمع سورة يعني أن من الأدب أن تهتم بقراءة السور الفاضلة والبداءة بها لأن الشارع ما أخبرنا بفضلها إلا ليكون اهتمامنا بها أكثر من غيرها فروى الترمذي (من قرأ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له ألف ملك) وروى أيضا هو وغيره (إذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون ربع القرآن وإذا جاء نصر الله والفتح تعدل ربع القرآن) وروى الحاكم (أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل ليلة قالوا من يستطيع ذلك يا رسول الله قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر)، **و الزم من الذكر الجوامع الغرر**(85) يعني أن من الأدب الاهتمام بجوامع الذكر الحسان وهي جوامع الكلم التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة وقيل ما لفظه قليل ومعناه كثير شامل لأمور الدنيا والآخرة مثل سبحان الله وبحمده عدد خلقه وهي المشار إليها بقوله ﷺ (أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا) وروى ابن ماجه عن ابن عمر (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبدا من عباد الله قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فقيل اكتباها بلفظها)

وعضلت بتشديد الضاد المعجمة أي اشتدت وعظمت واستغلق عليهما معناها اهـ، **وداركن بقية العمر** قبل فواتها وهي صبابة يسيرة وما عمرك من يوم ولدت فيه ولكن عمرك من يوم عرفت الله تعالى قال علي رضي الله عنه بقية عمر المؤمن ما لها ثمن يدرك فيها ما فات ويحيي فيها ما مات، ونظمه بعضهم فقال:

بقيـــة العمـــر عنـــدي مـــا لهـــا ثمـــن وإن غـــدا غيـــر محبـــوب مـــن الـــزمن
ســيدرك المــرء فيهــا مــا أفــات ويحـــ ـــيي مـــا أمـــات ويمحـــو الســـوء بالحســـن

الذي ضيعت حمقا في البطالة والسيئات فإن عمرا ضيع أوله حر أن يحفظ آخره كامرأة لها عشرة أولاد ماتوا كلهم إ لا واحدا أليست ترد وجدها على ذلك الواحد وأنت قد ضيعت عمرك فاحفظ آخره قال رجل لعامر بن عبد بن قيس وهو يريد الجمعة قف علي أكلمك فقال لولا أني أبادر لوقفت قال وما تبادر قال أبادر خروج روحي، فاغتنم بقية عمرك واغتنم معها غنيمة الفراغ وفي الحديث (اغتنم خمسا قبل خمس اغتنم شبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) وأنشد أبو القاسم عبد المحسن التنوخي :

اغتـــنم خمســـة شـــبابا ويســـرا وفراغـــــا وصـــــحة وبقـــــاء
واحـــذرن خمســـة مشـــيبا وعســـرا واشـــــتغالا وعلـــــة وفنـــــاء

وقال الآخر:

اغتـــنم فـــي الفـــراغ فضـــل ركـــوع فعســـى أن يكـــون موتـــك بغتـــه
كـــم صـــحيح رأيـــت مـــن غيـــر ســـقم خرجـــت روحـــه الصـــحيحة فلتـــه

والعلائق انبذي (86) أي اتركها وهي كل ما تعلق بك مما يشغلك عن الله قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه لم يوجد مريد قط دخل هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلا جرته وذلك أن كل من استغرق في الأسباب الدنيوية قل أن يلتفت لغيرها بل يعسر عليه أن يؤدي فرضه كما مر قال أحمد بن محمد الحاجي :

واعمـــــل علـــــى التقليـــــل للعلائـــــق فإنهـــــا مـــــن أعظـــــم العوائـــــق
كالمـــــال والجـــــاه وكالأهلينـــــا فـــــلا تكـــــن فـــــي قربهـــــا ملينـــــا
إلا الأولـــــى بالســـــعي فـــــي دنيـــــاهم لا يشـــــغلون وقليـــــل مـــــاهم
وقـــــل أن يتصـــــل المريـــــد مـــــع ســـــعيه فيهـــــا لمـــــا يريـــــد

وأخلص النية في الحالات فإنما الأعمال بالنيات(87) وإنما لكل أمريء ما نوى الحديث، وذلك بأن تنوي في كل شيء هممت به نية صالحة تصيره عبادة كنية التقوي على العبادة والطاعة في الطعام ونية الاستفراغ لها في قضاء الحاجة ونية الاستراحة والنشاط في المنام ونية الستر في اللباس وقس على ذلك جميع تصرفاتك وسائر حركاتك وبتحرير النية تسلم من الفضول لأن الفضول هو ما فعل من غير غرض صحيح وهو أيضا كلما أنت عنه في سعة واستغناء اهـ وها هنا انتهت الوصية واختتمها الشيخ رضي الله عنه بهذه الأبيات فقال: .

هـــــذا وذا الخطـــــاب بالتجريـــــد لنفســـــي الشـــــنيعة التعويـــــد
واســـــأل الله الـــــذي لا يجـــــب عليـــــه أمـــــر واختيـــــارا يهـــــب
أن يجعـــــل الزمـــــام منهـــــا بيـــــدي موفقـــــا إلـــــى ســـــبيل الرشـــــد
بكـــــل مســـــؤول بـــــه الإلـــــه مـــــن كـــــل مـــــن أحـــــب واصـــــطفاه
ثـــم أخـــص بحـــره الهـــامي الصـــلات عليـــــه أوفـــــر الســـــلام والصـــــلاة
ومـــــن بـــــه نظـــــم الرســـــالة اختـــــتم والآل والصـــــحب وتـــــابعي الأمـــــم
يـــــا خـــــاتم الرســـــل بـــــذا الإمـــــام اخـــــتم لنـــــا بأحســـــن الختـــــام
وربنـــــا ينيلنـــــا الأوطـــــارا ويحســـــن الظهـــــران والأســـــرارا
منـــــا ومـــــن معاشـــــر الإســـــلام ويمـــــنح الحســـــنى لـــــدى الختـــــام
والحمـــــد لله بغيـــــر منتهـــــى وهـــــو أجـــــل مـــــا بـــــه القـــــول انتهـــــى97

قوله رضي الله عنه هذا إلى أي الأمر هذا أو هذا كذا فهي خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف، قوله الخطاب بالتجريد إلخ التجريد هو أن يجرد المتكلم شخصا من نفسه يخاطبه كقول امرئ القيس سما لك شوق إلخ وهذا منه رضي الله عنه هضم نفس وتواضع و الله أعلم، وبحره الهام الصلات إلخ المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم والهامي السائل والصلات بكسر الصاد جمع صلة وهي العطية ومعنى أوفر السلام والصلاة أكملهما وتقدم معنى السلام والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اهـ

صحح وحرر بمعرفة

الأستاذ المصطفى ولد حبيب ولد متالي

بحمد الله جميع الحقوق محفوظة لمحظرة اهل متالي

شيخ المحظرة الأستاذ المصطفى ولد حبيب ولد متالي